الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم التاريخ

السلطان نور الدين محمود زنكي ودوره في مواجهة الصليبيين وتوحيد بلاد الشام ومصر (541 – 569هـ/ 1146 – 1174م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي

إعداد الطالبتين:

– بن حمودة ريان

– مراح عبير

إشراف الأستاذ:

أ.د/ فؤاد طوهارة

لجنة المناقشة

الرقم	الأستاذ(ة)	الرتبة	الصفة	الجامعة
01	أحلام يوسف	أستاذ محاضر أ	رئيسا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
02	فؤاد طوهـــارة	أستاذ التعليم العالي	مشرفا و مقررا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
03	مسعود خالدي	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 1444 – 1445 هـ/ 2023–2024 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بعد رحلة بحث وجهد و اجتهاد تكللت بإنجاز هذا العمل، نحمد الله عز وجل على نعمته التي من بها علينا فهو العلي القدير.

ونجد لزاما علينا أن ننسب الفضل إلى أهله وفاءا وعرفانا، فنتقدم إلى الأستاذ المشرف " أ.د/فؤاد طوهـارة " بخالص الشكر ووافر الامتنان على ما بذل من جهد و تحمل من مشقة جعلها الله في ميزان حسناته، و نشكره أن تفضل و قبل الإشراف على هذه المذكرة، وعلى طيب تعامله و تقديم نصائحه و توجيهاته طيلة فترة إنجاز هذا العمل، فله منا كل الشكر و التقدير و نسأل الله أن يجازيه عنا كل خير ونحن العارفات بفضله، المستضيئات بقدره العاجزات عن شكره، قد حررنا هذه السطور بلسان الإمكان سائلات المولى عز وجل أن يجعلنا و إياه من أهل القرآن، و أن يرزقنا و إياه الفردوس الأعلى من الجنان.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة الذين شرفونا بقبول مناقشة هذه المذكرة، وعلى كل ما بذلوه من جهد وعناء لقراءة مضمون المذكرة و تصويبهم لها.

و الشكر موصول إلى كل أساتذة قسم التاريخ بجامعة 08 ماي 1945 قالمة الذين درسونا طيلة المشوار الجامعي وكل الزملاء و الأصدقاء وكل من ساندنا ومد لنا يد العون لإعداد هذه المذكرة من قريب أو بعيد.

بن حمودة * مراح

إهداء

بسم الله الفتاح العليم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين خاتم الأنبياء إلى يوم الدين، أما بعد:

قال الله تعالى: " لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ"

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، الحمد لله الذي بفضله ونعمته تحقق حلم التخرج.

(من زرع حصد) عبارة لطالما كنا نسمعها لكن لا ندرك معناها

فالحمد لله على هذه النعمة التي بدأت أحصد ثمارها بعد عدة سنوات من التعب والجهد لطالما انتظرت هذا اليوم كي أرى الفخر والسعادة في عين **أمي وأبي**، وها أنا اليوم أهديهم تخرجي.

إلى من خط اسمه في دفاتر العلم، إلى من أفنى عمره من أجلنا ، إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، إلى من علمني العطاء دون انتظار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار "**أبي العزيز**".

إلى ملاكي في الحياة، إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني، إلى بسمة الحياة وسر الوجود، إلى من كان دعائها سر نجاحي، أغلى الحبايب "**أمي الغالية**".

إلى نور البيت وضيائه "**إخوتي**" سندي ومسندي واتكائي وضلعي الثابت الذي لا يميل وحزام ظهري وكياني فلذات كبدي، دمتم لي ضخرا وفخرا طوال حياتي.

إلى "**جدتي**" الغالية أطال الله عمرها وحفظها لنا، إلى كل من تربطني بهم صلة رحم من كبيرهم لصغيرهم وكل الأقارب والأحباب.

إلى "**صديقاتي**" اللاتي لم توفيهم كلمات الصداقة، إلى رفقاء الدرب وأصدقاء العمر.

إلى كل من نساهم القلم ولم ينساهم قلبي.

إلى "القريبين من القلب والداعمين والمساندين في السراء والضراء".

إلى كل من يعرفني كشخصي لكم مني كل الشكر والاحترام، كما لا يفوتني أن أذكر كل "**أساتذتي**"، شكرا على كل كلمة طيبة حفزتني للنجاح.

"وأخيرا أسأل الله أن يوفقنا جميعا في درب الحياة"

ريان

إهداء

اهدي عملي هذا وثمرة جهدي إلى من حملتني وهنا على وهن ، إلى من حافتني بدعائها ليلا ونهارا ، إلى من أعطتني الحب والأمان ، إلى أجمل كلمة نطق بها لساني أمي الغالية أطال الله في عمرها

إلى من شقى وتحدى وتعب في تعليمي ، إلى ملهمي وسندي وقوتي ، إلى ضلعي الثابت أبي العزيز أطال الله في عمره

إلى من شددت عضدي بيهم فكانوا لي ينابيع أرتوي منهم ، إلى اللذين كانوا سندي ومسندي في هذه الحياة إخوتي حفظهم الله من كل سوء

وإلى كل الأصدقاء دون إستثناء إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

قائمة المختصرات:

المختصر	دلالته
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ط	طبعة
د.ط	دون طبعة
هـ	التاريخ الهجري
م	التاريخ الميلادي
ج	الجزء
ص	صفحة
ع	عدد
تق	تقرير
مر	مراجعة
د.م.ن	دون مكان نشر
تحر	تحرير

مقدمة

مقدمة

الحمد لله حمدا طيبا مباركا والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

الدولة الزنكية، الإمارة الزنكية، الدولة الأتابكية، أسماء ومفاهيم عرف بها الزنكيون، تلك الإمارة الاسلامية التي أسسها عماد الدين زنكي في الموصل، وامتدت لاحقا لتشمل كامل الجزيرة الفراتية والشام، ثم بلغت مصر في عهد الملك العادل و البطل الرمز نور الدين محمود الذي ضمها على يد تابعه وربيبه يوسف بن نجم الدين الأيوبي، بعد وفاة اخر الخلفاء الفاطميين أبو محمد عبد الله العاضد لدين الله.

شخصية السلطان نور الدين محمود بن عمادِ الدِّين زَنْكِي، من الشخصيات القلائل الذين أفنوا أعمارهم في العلم والعمل، والجهاد والمقاومة ، ولم الشمل و إعلاء راية التوحيد، لم يُعرف في زمنه ولا قبله إلاّ الواحد بعد الواحد، من اجتمعت فيه هذه الخصال، فقد كان قائدا محنكا من دواهي العصر فطنة وذكاء ووحدة وبصيرة ، كما كان من أشجع الناس وأقواهم وأجرأهم على القتال، تميزت علاقته بالخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية بين التعاون المثمر والعداء الشديد وفقا للمصلحة العامة والشخصية في نفس الوقت، على أن هذه التقلبات لم تؤثر على مركزها في ولاية الموصل والجزيرة وبلاد الشام .

سار نور الدين على خطى والده في انتهاج خطة عسكرية محكمة في الدفاع على البلاد الاسلامية ومواجهة الصليبيين تنقسم الى شقين، الأول: المحافظة على قوة الدولة ووحدتها وذلك ببسط سيطرتها على بلاد الشام واعادة الوحدة بينها وبين مصر بعد تحريرها بهدف ضمان قوة الدولة واستمراريتها، أما الشق الثاني : فهو مجابهة الصليبيين وقتالهم وإنهاء معاقلهم في بلاد الشام، وكان هدفه الأسمى استرجاع الرها و تحرير بيت القدس .

أ. الإشكالية:

كان تحرير بلاد الشام من الصليبيين وضم مصر تحت راية واحدة من أهم انشغالات السلطان نور الدين زنكي في إطار عملية التحام القوى الإسلامية وتوحيد الصفوف المفككة تحت قيادة واحدة، حتى تكون سدًا منيعًا أمام أطماع الصليبيين؛ لكن حُكّام ووزراء دمشق

الذين ربطتهم علاقات ودية مع الصليبين حالوا دون تبلور مشروع الوحدة المنشود، وقد عمل نور الدين جاهدًا على تحرير وتوحيد دمشق، وهو ما حدث فعلا سنة 1154م/ 548هـ وذلك بعد وفاة وزيرها الداهية "معين الدين أنر" أين توحدت في عهده بلاد الشام، وتوسعت الدولة النورية وأصبحت تحيط بالقوات الصليبية من الشمال والشرق والجنوب!

كان التوحيد في نظر نور الدين زنكي يتضمن توحيد الصف والهدف في آن واحد، فأما توحيد الصف فهو جمع بلاد الشام ومصر في إطار سلطة سياسية واحدة، وأما توحيد الهدف فهو جمع المسلمين تحت راية مذهب واحد هو مذهب أهل السنة، وكان كلَّما توغل في خضم الجهاد، وتقدم به الزمان يزداد اقتناعًا بصواب هذه السياسة، وكان سبيله إلى ذلك مزيجًا من العمل السياسي والمعارك العسكرية التي تخدم توحيد الصف والهدف.

سارع نور الدين إلى اكمال مشروعه الوحدوي بإسقاط الدولة الفاطمية بعد مجموعة من الحملات العسكرية والخطط الاستراتيجية، نظراً لما سببته تلك الدولة في مصر من فساد سياسي، وخلل عقائدي في أنحاء العالم الإسلامي لأكثر من قرنين،فهي التي أعانت الصليبيين على احتلال بلاد الشام بتحالفها معهم، وهي التي تبنَّت المذهب الشيعي ونشرته في البلاد التي استولت عليها، وضيقت الخناق على المسلمين السنة في مصر والشام، وعندما سادت الفوضى في إدارة الحكم فيها، وتحكم الوزراء الفاسدين بالأمر دون خلفائها، طمع الصليبيون بغزو مصر، فهاجموها المرَّة تلو المرَّة لولا حكمة وبصيرة السلطان نور الدين زنكي الذي جعل من مصر هدفا استراتيجيا ضمن خطته العسكرية.

ولمعالجة هذه الاشكالية كان علينا لزاما طرح عدد من التساؤلات الرئيسية التي تزيل اللبس وتوضح المقصد :

- ما الذي ميز علاقة نور الدين زنكي مع الإمارات الصليبية ؟
- كيف تعامل نور الدين زنكي مع حكّام ووزراء دمشق الذين ربطتهم علاقات ودية مع الصليبين ؟ وهل نجح في توحيد دمشق ؟

- ماهي الأسباب الموضوعية التي دفعت نور الدين زنكي إلى ضم مصر إلى الجبهة الاسلامية ؟
- لماذا سارع نور الدين زنكي بالهجوم على الأطراف الشمالية لمملكة بيت المقدس قبل توجهه نحو مصر؟
- هل وفقّ أسد الدين شيركوه في تنفيد خطته العسكرية منذ أول حملة له على مصر؟ أم أن الأمر احتاج إلى أكثر من حملة عسكرية ؟
- ماهي العراقيل والصعوبات التي واجهت نور الدين زنكي في تنفيذه مشروعه الوحدوي في مصر ؟
- كيف جرت المفاوضات النورية لصليبية، بشأن الجلاء عن مصر؟ وهل كانت بنود الاتفاق على خروج القوات النورية والصليبية من مصر دافعا قويا لتأكيد الرغبة الزنكية في السيطرة على مصر بشكل كامل ؟

ب.حدود الدراسة:

شملت هذه الدراسة مجالين اثنين:

أ. **الحدود الجغرافية:** يشمل الموضوع الدولة الزنكية في عهد السلطان نور الدين زنكي كمجال مركزي ، مع الاهتمام بالمجالات الجغرافية الاسلامية المجاورة للدولة خاصة بلاد الشام ومصر ضمن معادلة التحرير والتوحيد .

ب. **الحدود الزمنية:** تمتد فترة الدراسة من سنة (541هـ/ م1146) إلى غاية (569 هـ/ 1174م) وهي فترة حكم السلطان نور الدين زنكي.

3. المنهج العلمي: لمعالجة هذا الموضوع والبحث في حيثياته اعتمدنا أدوات منهج البحث التاريخي من خلال توظيف:

- **المنهج الوصفي:** لتتبع ورصد الأحداث التاريخية ذات الصلة بسياسة نور الدين زنكي تجاه القِوى الصَّليبية وجهوده في التوحيد والتحرير، من خلال جمع المادة العلمية من مصادرها المختلفة وإعادة إستقرائها وتوظيفها خدمة للموضوع.
- **المنهج التحليلي:** لتشخيص وتقويم مشكلة الدراسة ومحاولة تفسيرها تاريخيا وإعطاء إجابات واضحة ودقيقة على الاشكالية الرئيسية والتساؤلات البحثية للموضوع.

4. أسباب اختيار الموضوع:

- الميول لشخصية نور الدين محمود زنكي والرغبة في معالجة فترة حكمه الممتدة من 541 – 569هـ/ 1146 – 1174م.
- سيرة نور الدين محمود زنكي التي لم تحظى بالقدر الكافي من البحث والدراسة مقارنة بغيره من الشخصيات الزنكية.
- التداخل الكبير بين شخصية نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي لذا لا يكتب تاريخ أحدهما دون الآخر.
- دور نور الدين زنكي في حركة الجهاد الاسلامي عصر الحروب الصليبية و جهوده في التوحيد والتحرير.

5. أهمية وأهداف الدراسة: تكمن أهمية وأهداف الدراسة

البحث في شخصية نور الدين محمود المغيبة في التاريخ مقارنة بغيره من الشخصيات الزنكية، وإبراز دوره الايجابي في حركة الجهاد الاسلامي عصر الحروب الصليبية وجهوده المثمرة في التوحيد والتحرير.

6. عرض خطة الدراسة:

اعتمدنا في معالجة موضوعنا على خطة تتكون من مقدمة وثلاث فصول بالإضافة إلى خاتمة وقائمة للمصادر والمراجع، ويليها مجموعة من الملاحق، وجاء ترتيب هذه الخطة على النحو التالي:

بالنسبة للفصل الأول فكان تحت عنوان: شخصية نور الدين محمود زنكي في أربعة مباحث، عالجنا في المبحث الأول مولده ونسبه، أما المبحث الثاني فتطرقنا فيه إلى صفاته وخصـــاله، وركزا في المبحث الثالث، مرحلة توليه الحكم وإدارته للدولة، أما المبحث الرابع فتحدنا فيه عن وفاته.

وبالنسبة للفصل الثاني: فقد جاء بعنوان دور نور الدين زنكي في مواجهة الصليبيين وتضمن أربع مباحث جاءت كالتالي:

المبحث الأول: عالجنا فيه ســياســة نور الدين في الســيطرة على مدينة الرها، أما المبحث الثاني فتطرقنا فيه لتصــدي نور الدين محمود للحملة الصــليبية الثانية وســياســته في ضــم دمشـــق، وجاء المبحث الثالث للحديث عن مواجهة نور الدين لمملكة بيت المقدس، أما المبحث الرابع فتناولنا فيه حملات نور الدين العسكرية على مصر .

الفصل الثالث: تحدثنا فيه عن دور نور الدين محمود زكي في توحيد بلاد الشام ومصر.

ففي المبحث الأول تناولنا توســع نور الدين محمود في بلاد الشــام، أما المبحث الثاني فقد تضــمن مشــروع ســيطرة نور الدين زنكي على مصــر، وخصــصــنا المبحث الثالث لإعلان مشروع الوحدة بين الشام ومصر.

وبالنسبة للخاتمة فقد أجبنا فيه عن الاشكالية الرئيسية للموضوع ، و ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها بعد إنهائنا لهذا أثناء .

هذا وقد تم تزويد البحث بمجموعة من الملاحق من أجل توصـــيل رســـالة الدراســـة وقدمنا ملخص باللغة العربية والإنجليزية.

7. صعوبات البحث:

بطبيعة الحال لا يوجد بحث علمي يخلوا من الصـــعوبات، وقد واجهنا العديد منها، انحصرت فيما يلي:

- تشتت المادة العلمية في متون المصادر مما صعب علينا جمعها وإعادة توظيفها.

- قلة الدراسات والأبحاث العلمية الأكاديمية ذات الصلة بالسلطان نور الدين محمود زنكي ودوره في مواجهة الصليبيين وتوحيد بلاد الشام ومصر.

8. الدراسات السابقة:

من خلال دراستنا لموضوع: السلطان نور الدين محمود زنكي ودوره في مواجهة الصليبيين وتوحيد بلاد الشام ومصر (541/ 569هـ/ 1146 – 1174م)، والبحث في مضامينه، تبين لنا أنه لم يسبق التطرق لهذا الموضوع ، باستثناء الدراسة التي تقدم بها الطالب "شيخاوي يوسف تحت إشراف الأستاذ بوكة عبد العزيز الموسومة بـــ "دور السلطان نور الدين محمود زنكي في الحروب الصليبية (511 – 569هـ/ 1116 – 1174م)، بقسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2011 – 2012م.

9- عرض لأهم المصادر والمراجع:

اعتمدنا في هذه الدراسة على عدد من المصادر والمراجع التي أفادتنا بشكل أساسي في بناء الموضوع ، ويمكن ذكر أهمها في:

أولا المصادر:

- **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (بالموصل)، لأبن الأثير الجزري** علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير الجزري،عبد القادر ، فالكتاب يزخر بمادة تاريخية خاصة بحكم الدولة الأَتَابِكِيَّة في الموصل، والتي شهدت فترة حكمهم والبدء بتحرير العديد من المناطق التي كانت تحت سيطرة الفرنج، وخاصة في فترة حكم كل من عماد الدين زنكي (521-541هـ / 1127-1146م)، وولده نور الدين محمود (541-569هـ/ 1146-1173م)، ، يتناول الكتاب وجهة نظر ابن الأثير تجاه الفرنج من حيث تسمياتهم المختلفة، قادتهم، صفاتهم الإيجابية والسلبية، علاقتهم بالمسلمين، خاصة في الأراضي التي كانت تحت سيطرتهم .

- **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، لأبي شامة** شهاب الدين عبد الرحمن، فهو كتاب يتحدث بشكل مفصل عن دولة نور الدين محمود وكيف انتقل حكمها إلى صلاح الدين الأيوبي ، حيث يؤرخ أبو شـــامة في كتابه هذا لحقبة تبلغ نصـــف قرن، تمتد من عام 540 هـ إلى عام 589 هــ، وهذه الحقبة تشمل الدولتين: النورية التي قادها نور الدين زنكي (511-569 هـــ)، وهي مايهمنا في هذا المصدر، والدولة الصلاحية التي وضع صلاح الدين قواعدها حتى وفاته عام 589 هـــ/ 1193م، يتتبع أبو شامة في الكتاب إنجازات نور الدين ، فيتحدث عن موضـــوعات شـــتى تتعلق بالدولة والحروب مثل: تنقلات الجيوش، وأوصاف الأسلحة، ووصف المعارك والحصون والسفن الحربية، كما يتحدث عن المجابهات التي دارت بين الفريقين، مستعينا بالوثائق الرسمية وبالقصـائد الشـعرية التي تحدثت عن المعارك، والتي يعد كتابه مصدرا من مصادرها، نظرا لجمعه لها وحرصه على تبويبها.

- **الكواكب الدرية في السـيرة النورية، لإبن قاضـي شـهبة** محمد بن أبي بكر بدر الدين وعلى الرغم من أنه مصـدر متأخر يعود الى القرن التاسـع الهجري ، وناقل لمضـامينه عن مصـادر سـابقة له، إلاّ أن أهميته تكمن في معاجلته لتاريخ الدولة النورية وأخبار ملكها نور الدين محمود بشكل خاص، فأفدنا منه في الحديث عن جهود نور الدين في تحقيق مشروع الوحدة السياسية والعسكرية للمسلمين، وماحققه من انتصارات ضد الصليبيين في بلاد الشام ومصر وعن علاقته بقائد جيوشه ونائبه في حكم مصر صلاح الدين الأيوبي.

ثانيا المراجع:

جاءت أغلب المراجع متنوعة ومفيدة جدا لموضـــوع بحثنا نخص بالذكر تلك التي اعتمدنا عليها بشكل هام مثل كتاب: سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، محمد مؤنس أحمد عوض، السياسة الخارجية للدولة النورية، محمد سهيل طقوش، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام.

الفصل الأول: شخصية نور الدين محمود زنكي

المبحث الأول: مولده ونسبه

المبحث الثاني: صفاته وخصاله

المبحث الثالث: توليه الحكم وإدارته للدولة

المبحث الرابع: وفاته

المبحث الأول: مولده ونشأته

1. مولده ونسبه:

هو الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود زنكي بن عماد الدين زنكي أتابك، لقب بزنكي نسبة للقب والده قسيم الدولة ويقال نور الدين ابن القسيم[1] ، جده "أق سنقر" من موالي السلجوقيين وهم ينتسبون إلى أصول زنكية ، وإلى قبائل ساب يو التركمانية[2].

حظي والده بمكانة عالية وأهمية كبيرة لدى سلاطين السلاجقة[3]، نظرا للدور الكبير الذي كان يلعبه على الساحتين السياسية والعسكرية ونظرا لتنقلاته وحروبه الذي أصبح فيها أميرا للموصل والمجاهد الأول في المنطقة ومرعب الصليبيين[4].

أنجب زنكي أربعة من الأبناء وهم : سيف الدين غازي ، ونور الدين محمود، وقطب الدين مودود ونصرة الدين أمير أميران.[5]

ولد نور الدين محمود في شهر شوال من سنة 511 هـ / 1118 م وهو الابن الثاني لعماد الدين زنكي، وكان يصغر من سيف الدين غازي بقليل[6] ، وقد لقب بعدة ألقاب منها: الملك العادل نور الدين[7]، الشهيد حسب بعض المصادر. [8]

---

[1] – شهاب الدين عبد الرحمان بن إسماعيل أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية تح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/ 2001م، ص 96.

[2] – محمد علي قطب، أبطال الفتح الإسلامي، دار الدعوة، الإسكندرية، ط1، 1427هـ/ 2006م، ص 103.

[3] – محمد نجيب عبد الوهاب محمد ، السياسة الداخلية لنور الدين محمود زنكي، رسالة ماجيستر، كلية الآداب، قسم التاريخ والأثار، الجامعة الإسلامية غزة، 1430هـ/ 2001م، ص 02.

[4] – غانم شيحان جويعد الشمري، نور الدين محمود زنكي صاحب منبر الدفاع عن القدس، دار الظاهرية، الكويت، ط1، 1439هـ/ 2008م، ص 20.

[5] – علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير الجزري، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (بالموصل)، تح : عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، مكتبة المثنى ببغداد، 555_ 630هـ/ 1160_ 1232م، ص 76.

[6] – حسين مؤنس، نور الدين محمود، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط1، 1959م، ص 184.

[7] – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ط1، 1417هـ/ 1996م، ج 39، ص 13، 371.

[8] – جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1453هـ/ 1935م، ج 05، ص 279.

كما وردت عدة ألقاب أخرى لنور الدين نذكر منها: العالم، المؤيد، المنصـــور، المظفر، الهمام، والتي كانت لها دلالة هامة على المكانة العالية التي كان يتمتع بها نور الدين كأحد أبرز الشـخصـيات الإسـلامية التي لعبت دورا هاما على السـاحة السـياسـية والعسـكرية أثناء الصراع الإسلامي الصليبي.[1]

تزوج نور الدين يوم الخميس، الثالث والعشـرون من شـهر شـوال الموافق لسـنة 541 هـ/ 1146م [2]، من إبنة حاكم دمشق معين الدين بعد أن كانت المراسلات مترددة بينهما في شوال، إلى أن استقرت وتم العقد في دمشق.[3]

ويذكر أن نور الدين محمود أنجب من زوجته ولدين هما الصـــالح إسـماعيل والذي تولى الحكم بعد وفاة والده، وهو ابن إحدى عشر سنة، وأحمد الذي ولد سنة 574 هـــــــ/ 1178م، بمدينة حمص وتوفي بمدينة دمشق.[4]

[1] – محمد نجيب عبد الوهاب محمد محمد، مرجع سابق، ص 05.

[2] – أبو يعلى حمزة بن أسد ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، دار الأباء اليسوعيين، بيروت، 1908م، ص 289.

[3] – عماد الدين خليل، نور الدين محمود الرجل والتجربة، دار القلم، دمشق بيروت، ط1، 1400هـ/1980م، ص 48.

[4] – عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، جعفر الحسني، دار الترقي، دمشق، د.ط، 1948م، ج01، ص 613.

2. نشأته:

لم تفصح الكثير من المصادر عن حياته ونشأته، ولم ترد إلا بعض الإشارات القليلة التي تذكر بأن نور الدين كان ملازما لأبيه وهو في سن مبكر.[1]

وقد نشـــأ نور الدين على الطاعة والصـــلاح والخير، فتعلم القرءان الكريم، كما تعلم أيضـــا الفروســـية والرمي[2] وكان يرافق والده في فتوحاته وحروبه، حيث كان حاضـــرا لحظة استشهاده على أبواب قلعة جعبر عام 541هـ الموافق لـ 1146م[3].

كان له مكانة هامة عند والده كما كان يرى فيه النجابة والذكاء فكان أقرب أبنائه إليه[4] واجتمعت أراء قادة والده على اختياره خليفة لمدينة حلب خلفا لأبيه[5].

ومن أبرز هؤلاء القادة الداعمين لترشيحه: أسد الدين شيركوه[6] والذي عرض على نور الدين أن يسـير إلى حلب ويجعلها ملكه ويتولى أمرها حيث قال له : " أنا أعلم أن الأمر كله

---

[1] – حسين رجا الشقيرات، موقف نور الدين محمود زنكي من الوجود الصليبي في المشرق الإسلامي، مجلة جامعة الحسين بن طلال للبحوث، مج 9، ع4، 2003م، ص 180.

[2] – عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، دار المعارف، بيروت، لبنان، د.ط، 1412هـ/ 1991م، ج12، ص 277–278.

[3] – محمد نجيب. عبد الوهاب محمد، مرجع سابق، ص 5.

[4] – محمد بن أبي بكر بدر الدين ابن قاضي الشهبة، الكواكب الدرية والسيرة النبوية، محمود زايد، دار الكتاب الجديدة، بيروت، ط1، 1971م، ص 15.

[5] – ابن الأتابكي، مصدر سابق، ص 279.

[6] – **أسد الدين شيركوه:** (564هـ/1169م) أسد الدين بن شاذي ابن مروان بن يعقوب الدويني الكردي، يلقب بالملك المنصور وهو أخ الأمير نجم الدين أيوب وعم السلطان صلاح الدين، فاتح الديار المصرية وأول من ولي مصر من الأكراد الأيوبيين، ومن أكبر أمراء نور الدين محمود بدمشق، أرسله نور الدين على رأس جيشه إلى مصر سنة 558هـ ثم وعاد إليها ثانية سنة 562هـ ، وللمرة الثالثة لما هاجم الفرنج بلدة (بابيسى) بمصر وملكوها سنة 564هـ وقتلوا أهلها فأرسل العاضد للمرة الثالثة يطلب النجدة فنجده بأسد الدين شيركوه وطرد الفرنج وملك مصر سنة 564هـ، وعلم بأن شاور عزم على قتل أسد الدين ومن معه من كبار أمراء نور الدين، فتعاون مع صلاح الدين على قتل شاور وأرسل رأسه إلى ليفة (العاضد) فدعاه العاضد ولقب بالملك المنصور لكن لم تصل مدته وتوفي فجأة بعد شهرين ودفن بالقاهرة ثم نقل إلى المدينة بعدما تولى ابن أخيه صلاح الدين الوزارة، وكان أسد الدين شجاعا عاقلا فطنا وقورا. أنظر :
شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، يسر أعلام النبلاء، شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، دار الرسالة، بيروت، ط11، 1417هـ/1996م، ج20، ص 588، الأتابكي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 587– 588– 589.

بيدك، وأن ملك الشام بحلب، وأن من ملك حلب أصبحت الشرق ملكه"[1] ، وكذلك صلاح الدين الياغسياني[2] وسيف الدين أو سيف الدولة سوار [3] ومجد الدين بن الداية[4] ولعل هذا الدعم يحمل دلالات واضحة على ثقة هؤلاء بقدرات نور الدين وأنه الرجل المناسب الذي سيخلف والده.

المبحث الثاني: صفاته وخصاله

اتصف نور الدين محمود بجملة من الصفات التي جعلت منه الشخص المناسب وأهلته لحمل هذه الأمانة، فقد اتصف بالذكاء والجدية والشعور بالمسؤولية والقدرة على مواجهة المشاكل وحلها، فكان يعتمد في مواجهة العقوبات التي تواجهه على الحلول العقلية ذات الطابع العلمي[5] وكان أيضا محبا للجهاد عادلا حريصا على إعزاز دين الله[6].

ويذكر ابن الأثير مجمل الصفات التي تمتع بها نور الدين في قوله : " أنه لم يرَّ بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز ملك أحسن سيرة وأكثر تحريا للعدل والإنصاف من الملك العادل نور الدين فقد كان يقتصر ليله ونهاره على عدل ينشره أو مضلمة يزيلها أو جهاد يتجهز له، أو عبادة يقوم بها أو إحسانا يوليه، أو إنعاما يسديه"[7]، إضافة إلى هذا فإنه

---

[1] – شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي، الروضتين في أخبار الدولتين، دار الجيل، بيروت، د.ط، 1974م، ج1، ص 170.

[2] – ابن الأثير، الباهر، ص 35.

[3] – حسين رجا الشقيرات، مصدر سابق، ص 180.

[4] – مجد الدين بن الداية: مجد الدين أبا بكر المعروف بابن الداية، أحد أمراء نور الدين وأمر داية نور الدين محمود، وعرف بابن الداية لأنه كان أميرا حسنا يرجع إلى دين وخير، له علوم كثيرة من الأدب والطب والحساب وغيرهم.
أنظر: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط4، 2003 م/1424هـ، ج10، ص27، ابن الأثير، الباهر، ص 137.

[5] – أحمد عبد الله محمد، دور نور الدين محمود في توحيد بلاد الشام إبان الحروب الصليبية، مجلة دراسات بيت المقدس، ع18، 2018م، ص 168.

[6] – حسين رجا الشقيرات، مرجع سابق، ص 180.

[7] – ابن الأثير، الباهر، ص 163.

كان كثير العبادة، عميق الإيمان، وكان إذا جاء الليل يصلي العشاء وينام، ثم يستيقظ نصف الليل فيصلي كثيرا، وله أوراد حسنة.[1]

ويذكر أيضا ابن شامة أن نور الدين كان يقعد في الأسبوع أربعة أيام أو خمسة في دار العدل ينظر في شؤون الرعية وكشف الظلامة وكان يفعل ذلك بغية مرضاة الله وطلب الأجر والثواب في الآخرة ولا يطلب مقابل ذلك درهما ولا دينارا ولا زيادة ترجع لخزانته[2]

تحلى نور الدين بصفة التواضع بالرغم من هيبته في سلطانه بحيث إذا دخل عليه صوفي أو فقيرا أو فقيها يقوم له ويعتنقه ويجلس بجانبه على سجادته[3] ، ومن رآه شاهد من جلالة سلطانه وهيبة ملكه ما يبره وإذا فوضه رأى من تواضعه ولطافته ما يدهشه[4].

وكان من أعف الملوك وأتقاهم وأصلحهم عملا، وأنجدهم أملا، وأرجعهم عقلا، وأوضحهم أيا[5]، كان لا يأكل ولا يلبه ولا يتصرف إلا في ما يخصه من ملكه[6] وكان يأكل مما يكسبه من عمل يده فكان يعمل مرة علابا ومرة أخرى كان ينسج[7].

ولعل أبرز الصفات التي غلبت على نور الدين صفة العدل فقد كان ينصف المظلوم من الظالم ولا يفرق بين قوي وضعيف والكل في نظره سواسية، وكان يجلس ويسمع لشكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه فأحيا العدل في بلاده ونشره في كامل البلاد[8].

تورع نور الدين عن الخوض في أموال المسلمين، ففضل مصلحة الأمة العامة على مصلحته الخاصة، ومن ذلك ما ذكره ابن الأثير حول طلب زوجة نور الدين "من أين أعطيها، أما يكفيها مالها؟ والله لا أخوض نار جهنم في هواها، وإن كانت تظن أن الذي

---

[1] – ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 57.

[2] – أبو شامة، الروضتين، ج01، ص 14.

[3] – ابن الأثير، الباهر، ص 171.

[4] – الذهبي، مصدر سابق، ص 533.

[5] – حسين رجا الشقيرات، مرجع سابق، ص 181.

[6] – ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 56-57.

[7] – النعيمي، الدارس، ج1، ص 609.

[8] – ابن الأثير، الباهر، ص 166.

بيدي من الأموال لي فبئس الظن، إنما هي أموال المسلمين مرصدة لمصالحهم ومعدة لفتق إن كان من عدو المسلم، وأنا خازنهم عليها فلا أخونهم فيها" ، ومع ذلك كان نور الدين كريما على أهله بيته رغم زهده فقام بزيادة نفقتها وقد جاء ذلك من خلال قوله: "لي بمدينة حمص ثلاث دكاكين ملكا، وقد وهبتك إياها فلتأخذيها"[1] ، ولم يلبس نور الدين حريرا ولا ذهبا ولا فضة قط بل كان لباسه من الصوف، ومنع من بيع الخمر داخل بلاده ومن إدخالها إلى بلاده.[2]

امتلك نور الدين أيضا صفات عسكرية أهلته أن يكون قائدا عسكريا منحكا، فكان شجاعا حسن الرأي، أصبر الناس في الحرب وأحسنهم مكيدة ومعرفة بأمور الاجناد وأحوالهم بحيث كان يضرب به المثل في ذلك[3] ، وكان في الحرب صائب الضرب، حسن الرمي وثابت القدم[4] ، كما حمل صفات أخرى كثيرة أثنت عليها المصادر كالإخلاص والصدق[5]، والسماحة[6] العفاف، الحياء،[7] الكرم والرأفة.[8]

---

[1] – نفسه، ص 164.

[2] – النعيم، الدارس، ج1، ص 609–610.

[3] – ابن الأثير، الباهر، ص 168.

[4] – محمد نجيب، عبد الوهاب محمد حمد، مرجع سابق، ص 10.

[5] – أبو الفرج مهذب الدين عبد الله بن أسعد الوصلي، ديوان ابن الدهان، تح : عبد الله الجبوري، دار المعارف، بغداد، ط01، 1388هـ/ 1968م، ص 74.

[6] – أبو الحسن بن منير بن أحمد بن مفلح الطرابلسي الرفا، ديوان ابن منير الطرابلسي، تح :عمر عبد السلام تدمري، دار الجيل، بيروت لبنان، ط01، 1986م، ص 224.

[7] – أبو شامة، الروضتين، ج01، ص 79.

[8] – أبي القاسم علي بن الحين بن هبة الله بن عبد الله الشافعي بن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تح : مجد الدين أبي السعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، ط1، بيروت ، 1418هـ/1997م، ج57، ص 120.

المبحث الثالث: توليه الحكم وطريقة إدارته لدولته

1. توليه الحكم:

حينما كان عماد الدين زنكي محاصرا لحصن جعبر المطل على الفرات سنة545هـ/1150م والذي كان بيد سالم ملك العقلي ، وفي اليوم الخامس من شهر ربيع الآخر من نصف العام قتل الشهيد عماد الدين زنكي على يد جماعة من مماليكه ليلا وهربوا إلى قلعة جعبر فصاحوا على من بها من أهلها من العسكر يخبرونه بقتله وأظهروا الفرح ، فدخل أصحابه إليه فأدركوه وبه رمق وبعد ذلك قاضت روحه إلى رحمة الله ودفن بالرقة.[1]

لما استشهد عماد الدين كان ابنه نور الدين محمود حاضراً معه فأخذ خاتم والده من يده وسار إلى حلب فملكها وسار شقيقه سيف الدين غازي بن عماد الدين [2] إلى الموصل وكان يعاونهما اثنان من رجال عماد الدين زنكي هما جمال الدين محمد بن على الأصفهاني وهو المنفرد بالحكم ورئيس ديوان زنكي ، والثاني هو صلاح الدين محمد الباغيسياني أمير حلب ، وبفضل معونة الأخير تمكن نور الدين من تثبيت أقدامه في حلب في حين تمكن شقيقه سيف الدين غازي من تثبيت أقدامه في الموصل بفضل مساعدة جمال الدين الأصفهاني[3] .

وبذلك انقسمت دولة عماد الدين زنكي بين ولديه نور الدين محمود وسيف الدين غازي وكان الحد الفاصل بين الأخوين هو نهر الخابور ، واستقر الملك بالموصل لسيف

---

[1] – كمال الدين أبي القاسم، عمر بن أحمد بن هبة الله ابن العديم، زبدة، من تاريخ حلب، ج2، تح : سامي الدهان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص 285.

[2] – ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 233.

[3] – ابن واصل جمال الدين ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح :جمال الدين الشيال، مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1953 – 1957م، ج1، ص 190 ، أبو الفداء إسماعيل، بن محمد، المختصر في تاريخ البشر، دار الفكر، بيروت، ج2، 1999، ص19 ، أمين الحسن، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، المكتبة الأهلية، بغداد، 1965، ص 22.

الدين بن عماد الدين زنكي الذي أرسل إليه السلطان مسعود بن محمد بن ملك شاه السلجوقي الخلع وأقره على البلاد لأن السلطان كان يحبه ويأنس به [1] .

أما مملكة نور الدين محمود فكانت قاعدتها حلب وكان على نور الدين أن يواجه الأعداء من الأمراء المحليين في الداخل والصليبيين في الخارج، لأن تقسيم الدولة الزنكية بين نور الدين وسيف الدين غازي كان سببا في ذلك، أما الابن الثالث الزنكي وهو نصر الدين فقد حكم حرّان وبهذا كان تابعاً لأخيه نور الدين في حين كان الابن الرابع قصب الدين والذي لبت في رعاية أخيه سيف الدين غازي بالموصل [2] .

لم يصادف هؤلاء الإخوة صعوبة في الاحتفاظ بملك أبيهم بفضل مساعدة رجال عماد الدين زنكي الأوفياء، وقد أدى الوضع الجغرافي المقسم الغربي التابع النور الدين محمود أن يريد مشكلتين كبيرتين هما أتابكة دمشق والإمارات الصليبية المنتشرة في مختلف بلاد الشام[3].

كان من الطبيعي أن تنشأ بين البيتين الزنكيين في كل من الموصل وحلب علاقات وثيقة بفضل الروابط الأسرية من جهة واشتراكهم في هدف واحد وهو الجهاد ضد الصليبيين في بلاد الشام وكانت حلب تشكل بالنسبة الموصل خط الدفاع الأول وصماء الأمان عند أي خطر التعرض له فنشأت نتيجة لذلك علاقات جيدة بين الدين غاري صاحب الموصل وأخيه نور الدين محمود صاحب حلب[4] .

وبعد استقرار في الموصل والجزيرة الفراتية وبعض مناطق بلاد الشام كحمص والرحبة والرقة كان علي سيف الدين غازي أن ينسق مع أخيه نور الدين محمود صاحب حلب ويتعاون معه لاستكمال سياسة والدهما القاضية بالتصدي للصليبيين مدركان في الوقت نفسه أهمية هذا

---

[1] – إبراهيم بن محمد الحمد المزيني، الحياة العلمية في العهد الزنكي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، السعودية ، 1424هـ/ 2003م، ص 44.

[2] – عاشور فايد حماد، جهاد المسلمين (العصر الفاطمي، السلجوقي، الزنكي)، مؤسسة الرسالة، ط4، بيروت، 1988، ص 208.

[3] – علي محمد، نور الدين محمود شخصيته وعصره، مؤسسة إقرأ، ط1، السعودية، 2007، ص 56-57.

[4] – حسنين عبد المنعم، دولة السلاجقة ، المكتبة الانجلو أمريكية، د.ط، القاهرة، 1975، ص 75.

التعاون وخشية أن يستغل أعداء الأسرة فرصة إنقسام الامارة الزنكية لمهاجمتها، بالإضافة إلى الظهور، بمظهر القوة أمامهم، لذلك رأى ضرورة الاجتماع بأخيه بين وقت واخر لتسوية ما قد ينشأ بينهما من أزمات داخلية، بسبب توزيع الإرث الزنكي[1] .

دفعت هذه العوامل سيف الدين غازي الأول إلى الإلحاح على أخيه نور الدين محمود للاجتماع به، وتسوية الأمور بينهما، وقد تصرَّف صاحب الموصل بحكمة لإزالة أسباب التوتر، كما أنه لم يعارضه عندما استولى على الرُّها، والتي كانت تدخل في منطقة نفوذه، بعد محاولة جوسلين الثاني استردادها من أيدي المسلمين في أواخر عام541هـ/ 1147م، والواقع أنه أرسل قوة عسكرية لمساندة أخيه لإنقاذ الرُّها، ولكنها وصلت بعد أن نجح نور الدين محمود في استعادتها، وأخيراً حصل اللقاء بين الأخوين في الخابور[2] .

وفي هذا الاجتماع، اعتذر نور الدين محمود لأخيه عن تأخره في الحضور، وأظهر له الطاعة والاحترام من جهته، ولشدة حذر نور الدين اشترط أن يكون الاجتماع ومع كلٍّ منهما خمسمئة فارس، فقبل سيف الدين، وخرج نور الدين؛ ومعه خمسمئة فارس، فرأى أخاه سيف الدين، وليس معه إلا خمسة فرسان، فتأكد من حسن نيته، واقتربا، وتعانقا، وبكيا. وقال له سيف الدين من لي غيرك يا نور الدين، ولمن أدخر الخير إن أسأت إلى أخي، وهدأت الأمور بين نور الدين وأخيه، وسكن روعه، وعاد إلى حلب، حيث جمع عساكره، ثم عاد للاستقرار في كنف أخيه، ووضع نفسه تحت تصرفه، إلا أن سيف الدين غازي الأول أمره بالعودة إلى بلاده، فلم يرجع نور الدين ولزمه حتى قضيا ما كانا فيه، وعاد كل واحد منهما إلى بلده[3].

استطاع سيف الدين، ونور الدين أن يحلا المشاكل التي بينهما، وتعاونا في مسيرة التحرير، واشتركت عساكر الموصل جنباً إلى جنب مع عساكر الشام في الجهاد ضد الصليبيين، وذلك في الدفاع عن دمشق ضدَّ الصليبيين، الذين حاصرت قواتهم المدينة في الحملة الصليبية الثانية عام 543هـ/1148م، ونجحت قواتهم في حمل الصليبيين على الرحيل

---

[1] – محمد سهيل طقوش، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، دار الأفاق الجديدة، ط2، بيروت، 2010م، ص170.

[2] – علي محمد الصلابي، الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، دار المعرفة، ط1، بيروت، لبنان، 2007، ص 146

[3] – عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، دار المعارف، بيروت، لبنان، د.ط، 1412هـ/ 1991م ، ج12 ، ص 87.

عن دمشق، ومن مظاهر التعاون أيضاً؛ اشتراك عساكر الموصل مع عساكر نور الدين في فتح حصن العُريمة، وطرد الصليبيين منه، كما كان من مظاهر التعاون بين الأخوين اشتراك عساكر الموصل مع قوات حلب في هزيمة الصليبيين في إنّب، وفي فتح أفامية سنة 544هـ/1149م، إلا أن العهد لم يطل بسيف الدين غازي حيث توفي بالموصل في جمادى الآخرة من سنة 544هـ/1149م بعد أن حكم الموصل ثلاث سنين وشهراً وعشرين يوماً، ودفن بالمدرسة التي بناها بالموصل، وخلَّف ذكراً رباه عمه نور الدين محمود وزوَّجه ابنة أخيه قطب الدين مودود بن زنكي، ثم توفي ولد سيف الدين شاباً، وانقرض عقبه[1].

تعرضت العلاقات بين الموصل وحلب في بداية حكم قطب الدين مودود زنكي لأزمة خطيرة، كادت تؤدي إلى اندلاع الحرب بين الأخوين، لولا أن قطب الدين تدارك الأمر، ووضع حدّاً لنزاعه مع أخيه نور الدين، ولكن رغبة نور الدين في توحيد الجبهة الإسلامية جعله يقطع الفرات متجهاً إلى سنجار فاستولى عليها، وكان رد الفعل عنيفاً في الموصل بعد دخول نور الدين سنجار؛ إذ انزعج قطب الدين وأمراؤه المخلصون وعدُّوا ذلك اعتداءً مباشراً عليهم على اعتبار أن سنجار تابعة لهم، فتجهز قطب الدين، وخرج بعساكره نحو سنجار، فنزل بتل يَعفُر، وأرسل جمال الدين الوزير، وزين الدين كجك أمير الجيش إلى نور الدين كتاباً ينكران عليه إقدامه على أخذ سنجار، واعتداءه على أملاك أخيه قطب الدين مودود، وهدداه بقصده، إن هو لم يرحل عن البلد، ولكن نور الدين لم يلتفت لتهديدهما وردَّ عليهما بقوله: «إنني أنا الأكبر، وإني أحق أن أدبِّر أمر أخي له منكم» [2].

أدرك الوزيران جمال الدين محمد، وزين الدين علي ما ينطوي عليه هذا الرد من أخطار، فأشارا على قطب الدين مودود بمصالحة أخيه، والتنازل عن بعض المواقع في الشام، والتي كانت تتبع للموصل مثل حمص، والرحبة، والرقة، مقابل انسحاب نور الدين من سنجار، والعودة إلى حلب، فوافقهما قطب الدين، وتمَّ الاتفاق بين الأخوين، وانسحب نور الدين محملاً بالكنوز التي كانت بخزائن سنجار من أيام حكم والده، وقد بلغت العلاقات بين الأخوين درجة من التحسُّن جعلت نور الدين يقوم في عام 554هـ/1159م يعقد العزم على اختيار أخيه قطب الدين ليخلفه في حكم بلاده، عندما أحسَّ بضعفه ومرضه، وقد أوفد نور الدين إلى أخيه قطب

[1] – ابن واصل ، مصدر السابق، ج1، ص116

[2] – ابن العديم، مصدر سابق ، ج2، ص 296.

الدين وفداً يخبره بالموقف، وباتفاق الأمراء على توليته العهد بعده، وطلب إليه الحضور بعساكره إلى الشام، فلما خرج قطب الدين مودود على رأس جيشه من الموصل؛ وصلته الأخبار بتحسن صحة أخيه نور الدين، وقيامه من مرضه، فأقام قطب الدين حيث هو، وأرسل وزيره جمال الدين محمد لمقابلة نور الدين محمود، والوقوف على تطورات الموقف هناك، فوصل الوزير دمشق سنة 554هـ/1159م، واجتمع مع نور الدين، وأبلغه استعداد قطب الدين، ووضع إمكانياته في خدمته، فشكره نور الدين على ذلك، وعبَّر له عن شكره لمشاعر أخيه قطب الدين مودود [1].

وتولى محمود الزنكي حكم البلاد باسمه منذ سنة 561هـ[2]، وبعد المؤامرات التي قام بها الملك آلب أرسلان من أجل أن يأخذ حكم البلاد من أيدي أصحابها قام الوزير جمال الدين الأصفهاني[3] بدور كبير في الحفاظ على الدولة وإبقائها في أيدي أصحابها وولي عهده عماد الدين الزنكي حيث قام بالإتصال بالأمير صلاح الدين محمد الياعشاني حاجب عماد الدين وتم الإتفاق بينهم على حفظ الدولة لأولاد الزنكيين وإبعاد السلجوقي آلب أرسلان بغض النظر عن الخلاف الموجود بينهما[4] .

وبدأت المحاولات بينهما وكان أول عمل قام به أن أرسل رسول إلى "زين الدين علي كجك" نائب الزنكي في الموصل يخبره بما حصل لزنكي[5]، أما الملك آلب أرسلان السلجوقي فقد تكفل به الوزير جمال الدين الأصفهاني بإلهائه ريثما تسير الأمور لصالح سيف الدين الغازي في الموصل وظل يتنقل من مكان لآخر حتى تم القبض عليه ووضعه في السجن ولم يأتي له ذكر بعد هذا وهكذا انقسمت الدولة الزنكية بعد مقتل مؤسسها عماد الدين الزنكي

---

[1] – أبو شامة شهاب الدين المقدسي، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: أحمد البيومي، دار الثقافة وإحياء التراث العربي، ج1، دمشق، 1991، ، ص50

[2] – الإمام الذهبي، مرجع سابق، ص 37.

[3] – محمد بن علي بن سليمان الراوندي، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، تص : محمد إقبال، تر: إبراهيم الشواربي عبد النعيم حسانين، فؤاد صياد، دار العلم، القاهرة، 1960، ص 43.

[4] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1407هـ، ص 143.

[5] – أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي، في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، د.ط، القاهرة، 1977، ص 96.

بين ولديه سـيف الدين غازي الذي حكم الموصـل و الجزيرة، ونور الدين محمود الذي حكم مدينة حلب وما جوارها من مدن الشـام، أما أخوهما نصـرة الدين حكم حران تابعا لأخيه نور الدين محمود الزنكي، في حين الآخر الرابع قطب الدين ظل تحت رعاية أخيه سـيف الدين الغازي بالموصل، وكان نهر الخابور الفاصل بين أملاك الأخوين[1].

2. طريقة إدارته لدولته:

اعتمد الملك العادل نور الدين على الحلول العقلية ذات الطابع الفقهي والعلمي في مواجهة المشاكل والأحداث[2] وكانت أولى اهتماماته توحيد البيت الإسلامي ومعالجة المشاكل الداخلية في الدولة الزنكية[3].

وكانت طريقته في إدارة الدولة اعتماده على مبدأين أساسيين اتبعهما في حكمه لدولته:

أ. الحرص على تطبيق الشريعة:

كانت دولة نور الدين محمود الزنكي دولة ملتزمة بتنفيذ الشـريعة الإسـلامية وقد أكد هذا في العديد من المناسبات من خلال أقواله وتصريحاته، وسعى إلى تطبيق أصول الشريعة الإسـلامية رغم المصـاعب والعقبات من ميدان الفكر إلى ميدان التطبيق حيث دعا إلى الحفاظ على أصـول الدين والمنع بما يناقضـه[4]، ولعل من أشـهر أقواله وهو يدعو إلى الدين والشريعة الإسلامية في حكم البلاد قوله "أني جئت هاهنا دمت لأمر الشرع[5]."

ويقول ابن الأثير كذلك أن نور الدين محمود الزنكي كان يعظم الشـريعة ويقف عند أحكامها يدعو الملاك إلى اتباع سنة العدل والإنصاف وترك المحرمات من المأكل والمشرب

---

[1] – أبو الفداء إسماعيل، مصدر سابق، ج2، ص19 ،

[2] – السرطاوي ، محمود فايز إبراهيم، نور الدين الزنكي في الأدب العربي في عصر الحروب الصليبية، عمان، دار البشير، ط1، 1990، ص 73.

[3] – الحويري، محمود محمد، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، في القرنين 12 و 13، دار المعارف، القاهرة، 1400 هـ، ص 12.

[4]– السرطاوي، مرجع سابق، ص 12.

[5]– ابن الأثير، الكامل، ج 10، ص 92.

والملبس وغير ذلك، حيث أنه كانوا قبل الجاهلية همة أحدهم بطنه وفرجه لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا وبالتالي هنا يوضـــح مبدأ الحكم عند نور الدين الزنكي الداعي على الحرص على مبدأ الشريعة، وقد حقق نور الدين محمود الزنكي أثار تحكيم الشرع من التمكين والأمان والإستقرار والنصر والفتح المبين والعز والشرف وبركة العيش ورغد الحياة في عهده وانتشار الفضائل.. إلخ[1].

ب. بناء دولته على أصول أهل السنة:

كان نور الدين محمود الزنكي قائم على إحياء الســـنة وقمع البدعة حيث يقول عنه بردج التوني نقلا عن ابن كثير: " أظهر نور الدين ببلاده السـنة وأمات البدعة وأمر بالتأذين بحي على الصـلاة حي على الفلاح ولم يكن يؤذن بهما في دولتي أبيه وجده وإنما كان يؤذن بحي على خير العمل لأن شعار الرفض كان ظاهرا[2]."

ج. دعم نور الدين الزنكي لمذهب السنة:

عزم نور الدين الزنكي على صـبغ دولته بالكتاب والسـنة ومواجهة الفكر الشـيعي فقام بإنشـاء مدارس نظام الملك من أجل مناهضـة الفكر الشـيعي ودعم المذهب السـني الذي كان محصورا في حلب ودمشق ومصر[3] .

وكانت مجهوداته تختلف في طبيعتها باختلاف البيئات الثلاثة من خلال :

* **جهود نور الدين في حلب:** ظهرت الشـــيعة في حلب في أواخر حكم شـــريف الدولة الحمداني لأن بني حمدان كانوا يعتنقون مذهب الشـــيعة الإمامية فقام نور الدين باتخاذ خطوات سياسية واتبعها في الوقت نفسه بخطوات فكرية حيث أنه بعد استقراره في حلب أمر الشيعة بترك حي على خير العمل في الأذان وعظم هذا الأمر على الإسماعيلية وأهل الشيعة

[1]– ابن الأثير، مصدر نفسه،ج 10 ، ص 100

[2] – بردج أنتوني، تاريخ الحروب، تر: أحمد غسان سبانو، نبيل الجيرودي، دار قتيبة للطباعة والنشر، ط02،دمشق ، 1985، ص 221.

[3] – عماد الدين خليل، مرجع سابق، ص 47.

وقام كذلك بإبعاد بعض زعماء الشيعة عن حكم حلب وبعد هذه الخطوة السياسية قام بخطوة فكرية وهي إنشاء مدرستين سنيتين كبيرتين إحداهما للحنفية سنة 543هـ/1148 م وأسند التدريس فيها إلى برهان الدين أبي الحسن علي بن الحسن البلخي[1] ، والمدرسة الثانية المدرسة النفرية النورية في حلب سنة 544 هـ/1149 م، لتدريس المذهب الشافعي وتولي التدريس فيها قطب الدين مسعود محمد النيسابوري[2] .

3. إدارة الدولة في عهد نور الدين محمود الزنكي

أ. سياسيا وإداريا

منذ تولي نور الدين الحكم وهو يسعى للإصلاحات والاهتمام بجميع جوانب الدولة ونواقصها حيث أنها شهدت إزدهار كبير في عهده، كما اهتم بالجانب العسكري والاقتصادي ولم يهمل السياسي والإداري أيضا لأنهما جانبان أساسيان في قيام الدولة واتزانها وكان الجانب السياسي والإداري مرتبطان مع بعضهما وكذلك نسق الزنكي بينهما وطورهما وحسن من شؤون الدولة.[3]

لم يدع نور الدين أي منكرا يسود جانبا من جوانب الحياة إلى عمل على إزالته ولقد بلغ من التزام "بكتاب الله وسنة رسوله (ص) " حدا كبيرا، وقد حقق أثار تحكيم شرع الله تعالى من التمكين والأمن والاستقرار ورغد الحياة في عهده وانتشار الفضائل وانزواء الرذائل حتى كانت دولته منتظمة الأمور إداريا .[4]

---

[1]– أنس أحمد كرزون، نور الدين محمود زنكي القائد المجاهد، دار البشائر الإسلامية، 1989، ص 94.

[2] – أبو صيني عبد القادر أحمد، دور نور الدين محمود في نهضة الأمة ومقاومة غزو الفرنجة، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، القاهرة ، 2000 ص 118.

[3] – مسفر بن سام عريج الخامدي، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي من قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر، 491 – 569هـ/ 1097 – 1173م، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط1، 1986، ص 243.

[4] – ابن الأثير، الباهر، ص 166 – 167.

- **الوظائف الإدارية في الدولة الزنكية في عهد نور الدين محمود الزنكي:**

- **الوزارة:**

هي وزارة تنفيذ لأوامر السلطان، وليست وزارة تفويض كما هو الحال في العصر الفاطمي الثاني، وقد أوكل نور الدين أمرها للعناصر المدنية دون العسكرية وربما دفعه إلى ذلك كفاءة المدنيين وجيشه من زيادة نفوذ العسكريين على نحو يهدد السلطان.[1]

والوزير هو رئيس الجهاز الذغداري المركزي وكونه مسؤولا أمام نور الدين الزنكي عن جميع الدواوين والسجلات المتعلقة بالجند والبريد وزينة يقدم النصح والرأي في الأمور السياسية والإدارية والعسكرية وقد كانت وظيفة الوزير أهم الوظائف في الدولة قبل استحداث وظيفة النائب، فقد كان الوزير المدبر الوحيد والحقيقي لجميع شؤون الدولة.[2]

- **النائب:**

هو الذي ينوب عن نور الدين في الإقليم، ويكون مسؤولا عن الشؤون العسكرية والإدارية فيه ومن صلاحياته توقيع المراسيم والمنشورات، وترشيح أسماء نوابه في المدن الأخرى التابعة للإقليم وقيادة الفرق العسكرية الموجودة في الإقليم، حيث عمر النائب في المنطقة التي عين بها على المساعدة في إدارتها نيابة عن السلطان، ومن أشهر النواب في عهد مور الدين (الأمير مجد الدين أبو بكر محمد بن الداية نائب نور الدين في حلب، محي الدين بن كمال الدين).[3]

- **المستوفي:**

هو الذي كان يتولى أمر الديوان المالي ويضبطه، فهو المسؤول عن موازنة الدولة جميعها من حيث تقدير الأموال المستحقة وجمعها منم مصادرها وحفظها، وتخصيص

---

[1] – ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، دار صادر، بيروت، 1997، ج4، ص 5.

[2] – أبو صيني، مرجع سابق، ص 172.

[3] – أبو صيني ، مرجع سابق، ص 171 – 172.

الأموال اللازمة للجند وغيرهم من أجهزة الدولة ومؤسساتها، ويكون له عدد الكتبة المساعدين في الإدارة المركزية يعملون معا تحت إمرته في ديوان يسمى ديوان الاستيفاء وقد كان منصب الاستيفاء من أهم الوظائف الإدارية في عهد السلاجقة، لأنه المسؤول عن الشؤون المالية والحسابات وضبط أموال الولاية ولأن مصالح الجند وقواعد الملك والرعية وأموال المملكة تحت مسؤوليته. [1]

الشروط الواجب توافرها في من يتولى منصب الاستيفاء:

يجب أن يكون الشخص المختار لهذه الوظيفة معروفا بحسن السيرة والسداد في الرأي، ومن حيث التدين يجب أن يكون متفق على عفته وتقواه، عارف بأسرار المعاملات المالية وأساليبها، لا يفوته ضبط الجزء من حساباتها موصوفا بأنواع الكفاءات والخبرة التامة بالرسوم وأصولها، وبآداب خدمة الملك، ذا قلم وحكم موصوفين بالعدل وشاهد صادق معروف بحسن الفصل بين الحق والباطل، وأهلا للقيام بإنجاز المصالح والأمور السلطانية ليناط به حفظ أموال الدولة، وله خبرة في كافة أعمال الضرائب وغيرها ويفصل المحاسبات ويجلبها ويراجعها، عارف بضبط الخراج والزيادات والعلاوات. [2]

مراسيم تعيين المستوفى:

يتم تعيين المستوفى عن طريق رأس الدولة أو وزيره، وكان الملك يصدر مرسوما بذلك ويخلع عليه الشريفة ويجلس له مجلس علام، وكان مراسيم تعيينه أيضا إلزام عمال الوزارة بتوقيره واحترامه، ومراعاة قدرته واحتشامه، وعليهم أن يدركوا أن منزلته أرفع المنازل وأن يرفعوا إليه في كل شأن يتعلق بديوان الاستيفاء وأن يوقروا مرسومه ومراسيمه بأمر من السلطان نفسه لأنه هو الذي يقرر المعاملات ويحرر الحسابات ويبين البراءات للسلطان.[3]

---

[1] – القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشى، دار الكتب العلمية ، القاهرة ، 1963م، ج5، ص 466.

[2] – إقبال، الوزارة، ص 49.

[3] – مرجع نفسه، ص 51.

- **الأمير الحاجب:**

وهو المسؤول عن ديوان الجيش من حيث حفظ السجلات التي تحتوي أسمائهم ووظائفهم ورواتبهم واقتطاعاتهم، ويقوم بحل مشاكلهم وتقديم صورة واضحة عن أحوالهم للسلطان أو النائب، كما يقوم بالإشراف على السلاح والجند وخيولهم ويساعدهم في ذلك عدة من الكتبة والموظفون يشكلون معه ديوان الجند.[1]

أما الحاجب فهو الذي يتولى تنظيم مقابلات السلطان والدخول عليه، وإن الحاجب ووظيفته تعتبر مثل وزير الداخلية حاليا لأنه يبلغ حالة الشعب للسلطان ويكشف مظالمهم أمامه ويطلع على الأمور الرئيسية للدولة، وقد كان نور الدين يأمر بإزالة الحاجب عند جلوسه في دار القضاء لتسهيل دخول الضعفاء. [2]

- **الوالي أو متولي الولاية:**

اختص بالأمور الداخلية للولاية وهي واجبات إدارية تشمل تنفيذ الأحكام ومراقبة الأسواق ومحاسبة المخالفين للقانون وتفقد أبواب المدينة وأساورها وإطلاع النائب أو السلطان على الأوضاع العامة للمدينة وحمايتها من كل التصديات الخارجية.[3]

- **الشحنة:**

الشحنة أو الشحنكية كلمة تركية تعني صاحب الشرطة أو قائد الحامية أو الحاكم الإداري للمدينة، كان يعين من قبل السلطان مباشرة ويعمل بإمرته رجال الشرطة، ويقوم بحفظ الأمن الداخلي للمدينة وملاحقة اللصوص والخارجين عن القانون، وقد حدد نظام الملك الشروط الواجب توفرها في من يتولى الشحنة: له شفقة في الدين، يخاف الله تعالى، الشجاعة، القدرة العسكرية والإدارية، مراقبة اللصوص وقطاع الطرق.[4]

---

[1]- أبو صيني، مرجع سابق، ص 174.

[2] – ابن الأثير، الباهر، ص 168.

[3] – ابن القلانسي، ذيل، ص 355.

[4] – أبو صيني، مرجع سابق، ص 174.

- **والي القلعة (الدزدار):**

كلمة فارســـية من قطعتين داز أو دزه بمعنى قلعة ودار أي الحافظ فهي بذلك تعني حافظ القلعة ومنصب الدزدار له أهمية كبيرة في العصر النوري لأن القلعه تعني خطر موقع داخل المدينة ولقد كانت الدزدار الشخصية الثانية في الإمارة من حيث الدفاع لأنه يقع عليه عبء الدفاع عنها في أوقات الخطر والحفاظ على سلامتها.[1]

- **المحتسب:**

ويعرفها أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله، كان عمل المحتسب الأساسي الإشراف على الأسواق والنظر في الموازين والمكاييل وصحتها ومراقبة الأسعار ومنع الاحتكار والإشراف على الضريبة[2]، وكان للمحتسب نواب في سائر المدن والأقاليم التابعة له يتولون أعمال الحسبة فيها، كان يختارهم من أصحاب الحرف المختلفة ليشرف كل منهم على طائفته.[3]

- **الأسكدار:**

من أعوان صاحب البريد ويشبه ساعي البريد في عصرنا وكانت الرسائل ترسل بواسطة هؤلاء الأسكدرية إلى كافة الولايات[4].

- **أطباء الخاصة:**

مختصين بالإشراف على صحة السلطان ورعايته وامتدت أعمالهم أيضا إلى المقربين من السلطان[5] .

---

[1] – ابن خلكان، مرجع سابق، ص 142.

[2] – الشيزري عبد الرحمن، ابن نصر عريني، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946، ص 213.

[3] – مصدر نفسه، ص 216.

[4] – الراوندي، مصدر سابق، ص 170.

[5] – ظهير الدين البهيقي، تاريخ حكماء الإسلام، تح: محمد كرد علي، مطبعة الترقي، دمشق، 1946، ص 256.

- **الخطيب:**

ينبغي اختيار الخطباء الذين يصـــلون بالناس في المســاجد الجامعة للتأكد من تقواهم وحفظهم القرآن الكريم ومن بينهم الإمام عز الدين أبو القاسم علي بن الحسن ابن الماسح[1].

- **الشروط الواجب توافرها في الموظفين الإداريين في عهد نور الدين الزنكي:**

- **التكامل الفكري والسياسي:** كان الاختيار يقع على كل من كان منهم من ذوي الهمم العلية والأراء الصائبة والأنفس الأبية[2].
- **اعتماد الشورى وعدم الانفراد باتخاذ القرار :** والشورى واجبة على الحاكم في الشريعة الإســـلامية وإلى هذا القول ذهب الكثير من العلماء والفقهاء فلا تحل للحاكم أن يتركها .
- **تغليب المصلحة العامة على المصالح الشخصية:** في معالجة المشاكل التي تثور بين الأقران كانوا يحلون الخلافات ويعالجون المشـــاكل بأســـلوب لم يخرج يوما عن المصلحة العامة[3].
- **التفاني في أداء الواجب:** حب الدين وحبهم لدولتهم ولحاكمهم جعلهم يحرســـون على حب الاستشهاد ومن لم يكتب له يوصي بأن يدفن في مدافن المدينة المنورة[4].
- **الزهد التعفف:** تجلي التربية الإســـلامية في مواقف رجال الدولة والإدارة والجيش، وعزفوا عن الاحتكار والترف[5].

---

[1] – نظام الملك الطوسي، سير الملوك، سياسة، نامه، تح: يوسف بكار، مطبعة السفير، عمان، الأردن، ص 80.

[2] – أبوشامة، مصدر سابق، ج1، ص 163.

[3] – عماد الدين خليل، مرجع سابق، ص 266.

[4] – أبو شامة، مصدر سابق، ج1،ص 266.

[5] – بهاء الدين بن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تح : جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1384هـ/ 1994م، ص 76.

- **القضاء في عهد نور الدين محمود الزنكي:**

مثل ما اهتم السلطان العادل بجميع جوانب الدولة الإدارية والعسكرية وكذلك السياسية اهتم بالجانب القضائي، وقد سجل التاريخ بأن في عهده ساد العدل في دولته وتم إيصال حقوق الناس إليهم ولقد وصف بأنه من أعدل أهل عصره .

* **ثقافة القضاة ونزاهتهم:** كان القضاة في عهد نور الدين الزنكي من الفقهاء وأكثرهم عرف بسعة العلم، ولقد دقق في شروط اختيار القاضي ومعاونيه، وكان ينبغي التعرف على أحوال القضاة والابتعاد عن الفقهاء والعلماء منهم والأمناء، ويجب أن يكون للقاضي راتب شهري يكفيه ولا يدفعه حاجة إلى الخيانة لأنه عمل دقيق.

* **مجالس القضاء المكان الذي كان يجري فيه القضاء:** كان المسجد الجامع المكان الذي يجري فيه القضاء منذ عهد "الرسول (ص)" وكان القضاء يتم بعد ذلك في الجامع أو بيت القضاء أو في أي مكان آخر يراه القاضي مناسبا لعمله [1].

* **دار العدل أو المحكمة العليا:** كانت قمة إجراءات نور الدين القضائية إنشائه دارا في دمشق لكشف المظالم سماها (دار العدل) وكانت أشبه بمحكمة عليا لمحاسبة كبار الموظفين، ثم عممت صلاحياتها فامتدت أقضيتها إلى سائر أبناء الأمة وقد جاء إنشاؤها بسبب تزايد عدد الأمراء الكبار في دمشق وتماديهم في اقتناء الأملاك وتجاوزهم بعض حقوق الآخرين وكثرة الشكوى إلى قاضي القضاة[2].

[1] – عطية مصطفى مشرفة، القضاء في الإسلام بوجه عام في العهد الإسلامي في مصر بوجه خاص سنة 358هـ، ط1، دار الفكر العربي، 1949، ص 25.

[2] – أبو شامة الروضتين، مصدر سابق، ص 42.

ب. عسكريا:

1. الجيش النوري عناصره وحجمه

أولى نور الدين عناية فائقة بالجيش، وجعل الجانب العسـكري في دولته من الجوانب الرئيسية نظرا لما للجيش من أهمية في حماية الدولة، ولم يشاهد أحسن من عسكره، وهيئته وعدته ووفور عدته[1] .

وقد تلقى جيش نور الدين دعمه البشري في العديد من المناطق التي خضعت لسلطة الدولة النورية ومنها: المناطق الحبرزية والشـــامية، وتكون من أجناس وأعراق مختلفة، حيث انتظمت في الجيش النوري .

أولا: عناصر الجيش

شكل التركمان العنصر الأساسي في الجيش ويسمون بالخيالة[2]، وكان فرسان الجيش النوري من التركمان وخاصــه من أمرائهم[3]، حيث ســاهموا بنصــيب وافر في الجيش النوري وكانت أعدادهم تفوق الأجناس الأخرى وقد تصـل أعدادهم إلى عشـرة ألاف[4] أو أربعة ألاف فارس[5] وقد عرفوا بمهاراتهم العســكرية وبراعاتهم في الحراســة ويتميزون بقدراتهم الكبيرة في رمي السهام وإحكام تصويبها نحو الهدف[6].

و من أهم أسلحة الفرسان السيوف والرماح الحراب، وكانوا يلبسون الدروع، ويركبون الخيل السريعة المدربة والتي أجاد فرسان الدولة النورية قيادتها وركوبها[7] .

---

[1] – أبو شامة، الروضتين، ج1، ص 181.

[2] – أبو شامة، مصدر سابق ، ج1، ص 188 – 305.

[3] – ابن القلانسي، ذيل، ص 304.

[4] – ابن القلانسي، ذيل، ص 88، أبو شامة، الروضتين، ج1، ص 175.

[5] – ابن القلانسي، مصدر سابق ، ص 304.

[6] – أبو شامة، مصدر سابق، ج1، ص 265.

[7] – ابن القلانسي، مصدر سابق، ص 299، أبو شامة، مصدر سابق ، ، ج1، ص 343.

استفاد التركمان من قدرتهم الفائقة على التحرك بسرعة وقد مكانتهم خفة الحركة من البقاء عن بعد معين من عدوهم واختيار لحظة الاستعداد للاشتباك معه[1]، وكان رماة السهام من فرسان التركمان مهرة جدا في رميها فلم يكن أسلوبهم بالرمي المنفرد، وإنما كان الرمي جماعي كالزخات على العدو، وجعلوا زخاتهم تنحصر في هدف واحد هم الفرس، لذلك نجد أبرز خسائر أعدائهم كانت في الخيل[2] .

– استعمل التركمان هذه المناورة كطعم لوضع العدو في كمين، وكانوا بارعين في حرب الكمائن[3]، فاستخدموا قوات قليلة العدد من الفرسان لإغراء العدو على مهاجمتهم والقضاء عليهم ويعرف هذا الأسلوب بتحريض العدو على الهجوم وعندما كان يتحرك العدو لمهاجمتهم كانت هذه الجموع الصغيرة من الفرسان السلاجقة تقوم لإغراء واستدراج فرسان عدوهم لإيقاعهم في الكمين، حيث القوة الرئيسية للفرسان السلاجقة، التي تظل متخفية حتى اللحظة الحاسمة وهذا النوع من القتال نقصد بها حرب الكمائن، لا يحقق نصرا كاملا وحاسما ولا يعتمد عليه إلا إذا كانت طبيعة الأرض تسمح باختفاء القوة الرئيسية للكمين، كما لا يؤخذ بهذا الأسلوب القتالي إلا عند الحاجة[4] للحصول على الأسرى لاستفاء المعلومات منهم أو العمل على إضعاف الروح الهجومية للعدو بكثرة بث هذا النوع من الكمائن[5] .

– استغل التركمان قدرتهم على التحرك كأسلوب مهاجمة جناحي العدو، ومؤخرته، فكانوا يطوقون عدوهم في أكثر من موضع مثل النحل، ويهاجمونه من كل جهة ويحوطون به من جميع الجهات كالحزام أو مثل الكرة حول محورها[6]، وكما لو كانوا يحاصرون مدينة[7] فإن لم

---

[1] – ر.سى سميل، الحروب الصليبية، تج: سامي هاشم، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، 1985، ص 87.

[2] – رمضان، العلاقات، ص 87 – 94.

[3] – ابن القلانسي، مصدر سابق ، ص 312.

[4] – رمضان، مرجع سابق ، ص 89.

[5] – ابن القلانسي، مصدر سابق ، ص312، رمضان، مرجع سابق ، ص 89.

[6] – سميل، مرجع سابق ، ص 78.

[7] – الصوري، وليم الصوري، الحروب الصليبية، تح: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة، د.ط، ، القاهرة ، 1994 ، ج3، ص 323.

يســـتطيعوا تطويق العدو وســـعوا أجنحتهم إلى أقصـــى حد ممكن حتى يطوقوا عدوهم من الجانبين على الأقل[1]، وهذا النوع من التكتيكات يحتاج إلى تفوق عددي في بعض الأحيان، ولكن التركمان اسـتخدموه تحت كل الظروف في حالة تفوقهم العددي على خصـمهم، أو في حالة افتقادهم القوة العددية[2].

ولقد سبب هذا الأسلوب الكثير من الارتباك للأعداء الذين كان عليهم أن ينظروا دائما إلى ما وراء أكتافهم[3] .

وهناك أســلوب آخر تميز به فرســان التركمان عن غيرهم وهو الرمي بالســهام وكما يسبق القول لم يكن رميهم منفردا ولكن جماعيا على شكل زخات على خيول العدو[4] .

ثانيا: تنظيمات الجيش

- **الفرسان (الأمراء)**

يؤلف الفرسـان العنصـر الأسـاسـي في الجيش بصـفة عامة[5] ويسـمون بالخيالة[6] وكان فرسان الجيش النوري من التركمان وخاصة من أمرائهم[7] وقد سار الجيش النوري على احترام فرســـانهم إلى حد كبير بصـــفتهم عماد الجيش، وكانت قوتهم واتســـاع دولتهم مرهون بهم وبمهارتهم القتالية[8]، وكانت لهم القيادة في الجيش وعرفوا بالاسفهلارية[9] أي قواد الجيش[10].ذ

---

[1] – سميل ، مرجع سابق ، ص 79.

[2] – رمضان، مرجع سابق ، ص 89.

[3] – سميل الحروب الصليبية، ص 79.

[4] – أحمد رمضان، مرجع سابق، ص 74 – 87.

[5] – الأصفهاني، البرتي، ج3، ص 72 – 166.

[6] – أبو شامة، مصدر سابق ، ج1، ص 188 – 305.

[7] – اين القلانسي، مصدر سابق، ص 304.

[8] – نظام الملك، مصدر سابق ، ص 164.

[9] – حسن أنوري، اصطلاحات ديواني، دار زبان وفرهنك، إيران، 2008، ص 132.

[10] – أمين، مرجع سابق، ص 205.

- **المشاة (الرجالة)**

وهم الرجالة من الجند الرماة وقد اتخذوا من شتى العناصر التي كونت الجيش النوري، وقد لعبوا دورا مهما وأساسيا في الحصار وتزويد الجيش بالمؤن والمعدات والحرب في المناطق الوعرة وأحيانا يندمجون مع الفرسان فيرافق الفارس جندي من المشاة وأهميتهم ومرتبتهم في الجيش تأتي بعد الفرسان[1].

- **النشابون (الرماة)**

يطلق عليهم الرماة لأنهم يرمون بالنشاب[2]، كما يتسلحون بالفؤوس الصغيرة، ويستعان بهم في صد المغيرين وفي الحصون والأبراج وكسر أقفال الأبواب.[3]

- **المنجنيقيون:**

وهم رماة المنجنيق، وكانوا يستخدمونها في تدمير القلاع والأسوار والحصون والدفاع عن المدن والقلاع ضد هجمات الأعداء.[4]

- **الجمارون:**

هم اللذين يتولون أعمال التحصين، وبناء الأسوار وقطع الصخور وحفر الخنادق.[5]

- **النفاطون:**

هم الذين يرمون الأعداء بقوارير النفط لإحراق السفن والأسلحة والأمتعة المصنوعة من خشب، وهي تشبه القنابل الأن.[6]

---

[1]– أبوشامة، مصدر سابق، ج1، ص 188.

[2] – النشاب، يعاونهم الطلائع وهي سرية من الفرسان يتقدمون للجيش عادة للاستكشاف والاستطلاع. أنظر : أبو شامة، الروضتين، مصدر سابق، ج1، ص 188، ج2، ص 186.

[3] – مصدر نفسه، ج1، ص 306.

[4] – الأصفهاني، البرتي، ج3، ص 151، أبو شامة ، مصدر سابق، ج1، ص 188.

[5] – ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج2، ص 283.

[6]– أبو شامة، مصدر سابق ، ج4، ص 104، 120، 123، علي الشامي، الحضارة والنظام العالمي، أصول العالمية في حضارتي الإسلام والغرب، دار الإنسانية، د.ط، 1995 ص 100.

- **الزراقون:**

هم طائفة من الجند اختصـــت بقذف النار المشـــتعلة بواســـطة أنابيب نحاســـية أو أسطوانية يحملها الجند أو في السفن.[1]

- **العرادون:**

العرادة آلة حربية تشـــبه المنجنيق ولكنها أصـــغر منه[2]، وتخصـــص هذه الطائفة من الجند لاستخدام نوع معين من الأسلحة الثقيلة عرفت باسم العرادة.[3]

- **رماة الجروخ:**

يسمون أيضا بالجرخية وهم اللذين يرمون السهام والحجاة والمواد الحراقة بواسطة آلة حربية ذات أقواس تعرف بالجرخ.[4]

- **المنادي:** الذي ينفر بالجنود في الحرب.[5]
- **اليزك:** الدليل أو طليعة الجند، ومن يقتدى به، ويسير أمام الجند لاستطلاع أخبار العدو، ويمكن تشبيهه بجنود الاستطلاع حاليا.[6]
- **حراس الجند:** وهم جنود يحيطون بالجيش من جوانبه لحراسته مثل الشرطة.[7]
- **الصياح:** الذي يصيح في الجند بمواعيد القتال.
- **المعبيء:** الذي ينظم الجند في ديوان العرض وفي الجرائد السلطانية.[8]

---

[1] – رشيد عبد الله الجميلي، إمارة الموصل في العصر السلجوقي، جامعة بغداد، ط1، 1980 ص 261.

[2]– الشامي، مرجع سابق، ص 101.

[3] – حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، ج4، 1996، ص 360.

[4] – أبوشامة، الروضتين، ج1، ص 164.

[5] – أبوشامة، الروضتين، المصدر نفسه، ج1، ص 176، 306، 341، 417 .

[6] – أبو شامة، الروضتين، مصدر نفسه، ج2، ص 398.

[7] – البيهقي، تاريخ حكماء الإسلام، مصدر سابق، ص 561.

[8] – أنوري، اصطلاحات ديواني، ص 128 – 129.

- **سـرهنك:** مقدم الجيش أو العسـكر، وكان من أشـهرهم في الدولة النورية أسـد الدين شيركوه[1]، وشمس ابن المقدم بن الداية.[2]

المبحث الرابع: وفاته

في عام 552هـ/ 1157م ابتلي نور الدين محمود بمرض حاد فاضطروا أن يستدعوا أحسن الأطباء من كافة بلاد الشرق لكن حالته بقيت تتدهور شيئا فشيئا ولم يستجب للعلاج الذي وصفوه له حت يئس الأطباء من حالته وحياته.[3]

يقول الطبيب الدمشـقي المعروف "بالرحى" وهو حذاق الأطباء أنه عندما دخل على نور الدين ورأى ما به قال له: "كان ينبغي أن لا تؤخر إحضـارنا إلى أن يشـتد بك المرض إلى هذا الحد".[4]

ويذكر أن مرض نور الدين كان بسـبب لعبه الكرة مع بعض أمرائه وصـادف أن بعضـهم اعترضـه في اللعب، مما أدى إلى إثارة غضـبه فكضـم غيضـه فتسـبب له التهاب اللوزتين[5]، ونتيجة مرضـه استبشر الصـليبيون خيرا ورأوا أن مرضـه هذا نعمة إلاهية خصـتهم بها السماء لنجاح حملتهم ذلك لأن نور الدين طالما كان متمتعا بعافيته وصحته من الصعب على الجيش الصليبي أن يتمكن من العمل بحرية واستقلال في تلك المنطقة الخاضعة له.[6]

أحس نور الدين مع مرور الوقت بصعوبة مرضه وخاف منه وفكر أنه سيموت لدرجة أنه قام باسـتدعاء كل من أخيه "نصـرة الدين أمير أميران" و"أسـد الدين شـيركوه" و"أعيان الأمراء" و"المقدمين" وقدم إليهم وصـية ما اقتصـه رأيه واستوصـبه [7]، ولكن إرادة الله سبحانه

---

[1] – أبوشامة، مصدر سابق ، ج1، ص 405.

[2] – أبوشامة، مصدر نفسه ، ج2، ص 318.

[3] – وليم الصوري، مرجع سابق، ص 422.

[4] – ابن الأثير، الباهر، ص 161، 162.

[5] – شيخاوي يوسف، دور السلطان نور الدين محمود زنكي في الحروب الصليبية، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2011/ 2012، ص 133.

[6] – الصوري، مرجع سابق، ص 422.

[7] – ابن القلانسي، مرجع سابق، 349.

وتعالى عكست ما كان يرجوه العدو وشفي نور الدين وعاد إلى الميدان وإلى ممارسة نشاطه بكل جوانبه. وفي سنة 554هـ/ 1159م مرض نور الدين مرض أرجف بموته بقلعة حلب.[1]

وكان ابتداء مرضــه أن أمر بتطهير (ختان) ولده الملك الصــالح إسـماعيل وذلك يوم عيد الفطر من سنة 569هــ/ 1174م فاحتفلوا لهذا وغلقت محال دمشق لعدة أيام[2]، واستمر مرضه حتى توفي يوم الأربعاء 11 شوال عام 569هـــ/ 15 مايو 1174م بعلة الخوانيق[3]، ودفن بقلعة دمشق رحمه الله.[4]

---

[1] – محمد نجيب عبد الوهاب، أحمد حمد، مرجع سابق، ص 12.

[2] – أبو شامة ، مصدر سابق، ج1، ص 305.

[3] – ابن الأثير، الكامل، ج10 ، ص 393.

* 569هـ في هاته السنة توفي نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر، يوم الأربعاء الحادي عشر شوال بعلة الخوانيق ودفن بقلعة دمشق وهو صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر،

أنظر : ابن الأثير، الكامل، ج09، ص 393، ابن سباط الغربي، تاريخ ابن سباط، تحقيق عمر عبد السلام التمدري، دار جروس برس، ط1، ج1، طرابلس، لبنان، 1413هـ/ 1993م، ص 135.

[4] – ابن الأثير، الباهر، ص 161.

الفصل الثاني نور الدين ومواجهة الصليبيين

المبحث الأول: سياسة نور الدين في السيطرة على مدينة الرها

المبحث الثاني: تصدي نور الدين للحملة الصليبية الثانية وسياسته في ضم دمشق

المبحث الثالث: مواجهة نور الدين لمملكة بيت المقدس

المبحث الرابع: حملات نور الدين العسكرية على مصر

المبحث الأول: سياسة نور الدين في السيطرة على الرها

بعد وصول أخبار مقتل عماد الدين زنكي، تجددت أمال الصليبيين في استعادة الرها من المسلمين[1] فبدأ جوسلين الثاني في محاولاته لاسترجاعها في جمادى الأخرى عام 542هـ/ 1147م،[2] عندما حشد جيش من الصليبيين وتقدم نحوها مستعينا بالعناصر الأرمينية بداخلها[3] ، ويذكر ابن القلنسي بأن جوسلين قبل أن يدخل المدينة أرسل إلى أهل الرها يطلب المساعدة فوافق النصارى المقيمين فيها على طلبه للقيام بتلك الخطوة[4].

وصل جوسلين إلى مدينة الرها وكان برفقة بعض فرسانه إضافة إلى أمير كيسوم ومرعش "بلدوين" في أكتوبر 1146م جمادى الأخرى 541هـ، ودخلها على حين غفلة ليلا[5] بمساعدة الأرمن الذين قاموا بفتح الأبواب لهم وسيطروا عليها وقتلوا المسلمين الذين كانوا بداخلها[6]واستطاعوا السيطرة على أبراج المدينة، ولكن من حسن حظ المسلمين أن أهالي الرها لا يملكون إلا بعض الجيوش الضعيفة، بالإضافة إلى أن جوسلين وفرسانه لم يجلبوا أي وسيلة للغزو، فاتجهوا إلى سياسة النهب والتخريب داخل المدينة[7].

ولما بلغت تلك الأخبار إلى نور الدين صاحب حلب هب مسرعا إلى الرها لاسترجاعها من تمرد الصليبين وكان برفقته العديد من التركمان وغيرهم الذين بلغ عددهم عشرة ألاف فارس[8] وحاصر نور الدين وقواته المدينة، ومن شدة الحصار اضطر جوسلين

---

[1] – علية عبد السميع الجنزوري، إمارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية للكتاب، 2001، ص 320.

[2] – محمد مؤنس أحمد عوض، السياسة الخارجية للدولة النورية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (د. ب)، 1998، ص 165.

[3] – شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرض في فنون الأدب، نجيب مصطفى فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، ج 27، بيروت، لبنان، ص 108.

[4] – ابن القلنسي، ذيل، ص 288.

[5] – الجنزوري، إمارة الرها، مرجع سابق، ص 321.

[6] – أبو شامة، الروضتين، مصدر سابق، ج1، ص 126.

[7] – الجنزوري، إمارة الرها، مرجع سابق، ص 323.

[8] – أبو شامة، الروضتين، مصدر سابق، ج1، ص 125.

إلى الهروب فلجأ إلى برج معروف ببرج الماء وكان معه عشـرين ألف فارس من أصـحابه، فحفر المسـلمون عليهم البرج حتى أسـقطوه، فهرب جوسـلين برفقه قواته بعد أن أصـيب في رقبته وأسر الباقون وقتل العديد من أرمن الرها والصليبيين، وأطلق سراح المسلمين وخرب في المدينة ونهبها، ففرح المسلمون بهذا النصر العظيم وانكفأ المسلمون بالغنائم والسبي إلى حلب وغيرها وبذلك حقق نور الدين انتصـاره والسـيطرة على الإمارة مرة أخرى[1] وقام بمعاقبه أهل الرها على تعاونهم مع القوة الصليبية.

ولابد أن نور الدين محمود عندما ذهب إلى القضـاء على مخططات جوسـلين الثاني كان نتيجة اعتبارات عدة منها أنه أراد أن يحافظ على إنجازات والده عماد الدين زنكي من خطر الصـليبيين وذلك بإخضـاع أول إمارة صـليبية، وكذلك ما حققه المسـلمون من مكاسـب كبرى وراء ذلك، لذلك عمل على إيقاف أي توسع صليبي في المنطقة[2].

وفي سنه 546هـ اتجه نور الدين إلى بلاد جوسلين بالتحديد إلى قلاع "تل باشر"، و "عين تاب"، و "عزاز" وغيرها من القلاع الأخرى، فأعد جوسـلين جيشـا كبيرا وقام بمراجعة نور الدين فحدث هناك الصـراع الذي انتهى بهزيمة القوات النورية[3] والاسـتيلاء على سـلاح دار نور الدين، فأخذه جوسـلين وأعطاه إلى الملك "مسـعود بن قلج أرسـلان" وقال له: "هذا سلاح زوج ابنتك" وصل هذا الحديث إلى نور الدين فقرر أسره.[4]

وبدأ نور الدين في محاولته لأسـر جوسلين، فجمع جيش من التركمان بعد أن وعدهم إن أتوه بالجوسـلين أما بالأسـر أو بالقتل سـوف يقدم لهم من الأموال والإقطاعات ما يلبي رغباتهم[5] فأمر نور الدين بمراقبة جوسـلين ووضـعه تحت الأنظار وما أن خرج متصـيدا في

[1] – ابن القلنسي، مصدر سابق، ص 288.

[2] – عوض، مرجع سابق، ص 166.

[3] – ابن الأثير، الباهر، مصدر سابق، ص 102.

[4] – ابن العديم، مصدر سابق ، ج2، ص 301.

[5] – ابن واصل، مصدر سابق ، ص 123.

نزهة حتى هزمته جماعة منهم وأخذته أسيرا[1] فقدم لهم وعدا بأن إن اطلقوا سراحه فسوف يقدم لهم المال مقابل ذلك فوافقوا وقاموا بإخفاء أمره عن نور الدين، فمضـــى بعض التركمان إلى نائب نور الدين مجد بن الداية وأخبروه بذلك فقام بتجهيز جيشـــا وأخذوا جوســـلين بقوة من التركمان وجاءوا به إلى نور الدين[2] فقام بأسره إلى أن وافته المنية بعد تسعه أعوام وذلك عام 554هـ / 1159م[3].

كان القبض على جوسلين من أعظم انتصارات وفتوحات المسلمين ضد الفرنج لأنه كان يشكل عائقا أمامهم نظرا لما يقدمه من مساعدات للصليبيين كونه يتميز بالشجاعة وجودة رأيه، فهو بمثابة شيطان من شياطين الفرنج الذين يحملون العداوة للمسلمين[4] وكان لأسره النتائج الايجابية إذ تيسر فتح الكثير من قلاعه وحصونه وهي : تل باشر[5]، عين

[1] – ابن الأثير، الباهر ، ص 102.

[2] – ابن واصل، مصدر سابق ، ص 123

[3] – عوض، مرجع سابق، ص 167

[4] – ابن الأثير، الباهر، ص 102.

[5] – **تل باشر**: قلعة حصينة وكورة واسعة شمالي حلب تبتعد عن حلب بسير يومين وأهالها من نصارى الأرمن.
أنظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان، دار صادر، ج2، بيروت، ص 40.

تاب[1]، عزاز[2]، وقورس[3]، والروندان[4]، وتل خالد[5] وكفر لاثا[6]، ودلوك[7]، ومرعش[8]، وغيرها من المناطق المحتلة في وقت وجيز .

ولعل من أهم الأسباب التي دفعت بنور الدين للسيطرة على قلاع وحصون جوسلين الثاني هي رغبته في حماية طرق التجارة الواقعة بين حلب والموصل وكذلك بين حلب وسلاجقة الروم وامبراطورية بيزنطة ووقوعها غرب نهر الفرات، أما بالنسبة للدوافع الاستراتيجية العسكرية فقد كانت رغبته الوحيدة هي تأمين الطرق الحربية بين الموصل وحلب[9] .

وفي عام 547 هجري قام الفرنج بجمع رجالهم وفرسانهم وساروا نحو نور الدين وكان هو أنداك في "دلوك" فاقتتلوا وكان النصر حليف نور الدين فقتل وأسر الكثير منهم ورجع إلى "دلوك" وسيطر عليها[10] .

وبهذه السياسة استطاع نور الدين أن يحمي تلك الإنجازات التي خلفها والده عماد الدين زنكي ويتخلص من الكثير من الحصون التي كانت تحت سيطرة جوسلين الثاني.

---

[1] – **عين تاب:** من أعمال حلب وهي قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه،ج4، ص 176.

[2] – **عزاز:** بليدة فيها قلعة ولها ريف شمال حلب وهي طيبة الهواء عذبة الماء. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه،ج4، ص 118.

[3] – **قورس:** مدينة أزلية ذات أثار قديمة وكورة نواحي حلب وقد أصبحت اليوم خراب. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه،ج4، ص 412.

[4] – **الروندان:** قلعة حصينة وكورة طيبة معشبة ومشجرة نواحي حلب، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه،ج4، ص 19

[5] – **تل خالد:** قلعة من نواحي حلب، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه،ج4، ص 41

[6] – **كفر لاثا:** بلدة ذات جامع ومنبر في سفح جبل من نواحي حلب. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه،ج4، ص 470

[7] – **دلوك:** بليدة نواحي حلب بالعاصمة، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه،ج4، ص 461.

[8] – **مرعش:** مدينة في ثغور بين الشام وبلاد الروم، لها سوران وخندق يتوسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني، أنظر : باقوت الحموي ، المصدر نفسه، ج4، ص 107.

[9] – عوض، السياسة، مرجع سابق، ص 168.

[10] – النويري، مصدر سابق، ص 111 – 112.

المبحث الثاني: تصدي نور الدين محمود للحملة الصليبية الثانية وسياسته في ضم دمشق

1. تصدي نور الدين للحملة الصليبية الثانية:

تولى نور الدين الحكم في الثلاثين من عمره ووضع أهدافه المباشرة منذ ذلك الوقت إلى وفاته، فوجب عليه تحرير الأراضي من الاعتداءات الصليبية على رأسها بيت المقدس والإدراك أن الانتصار على الصليبيين لا يتحقق إلا بعد جهاد طويل ومرير وفي خطوات متتابعة، فالخطوة الأولى بدأها والده عماد الدين حيث حرر إمارة الرها التي تشكل تداخلا مع الأراضي الإسلامية فتمكن بذلك تطهير الأرض الداخلية وحصر الوجود الصليبي في الشريط الساحلي[1] .

وعليه أن يخطو الخطوة الثانية لذلك وضع أسس سياسية متكاملة تتضمن توحيد بلاد الشام ثم مصر فكان بالنسبة له توحيد الهدف بتوحيد المسلمين تحت راية واحدة ومذهب واحد وهو مذهب أهل السنة فكان لسقوط الرها في أيدي المسلمين ردة فعل عنيفة في الغرب الأوروبي وباعت على السرعة في إرسال حملة صليبية جديدة لا بسبب المكانة الدينية التي تتمتع بها هذه المدينة في تاريخ النصرانية وحسب بل لأنها كانت أول إمارة أسسها الصليبيين في الشرق الأدنى وإدراك الغرب الأوروبي أنه إذا لم يسارع إلى ترميم ذلك البناء فإنه لن يلبث أن ينهار[2] .

توجهت الجيوش الفرنجية المتحالفة نحو دمشق التي كان يحكمها معين الدين أتابك الملك مجير الدين ابن بن محمد بن بوري، الذي كان أكثر الأمراء المسلمين قربا من الفرنج وتعاوونا معهم لذلك لم يكن يتوقع أن يكون الضحية الأولى لهم، ولما علم أرسل يطلب المساعدة من نور الدين محمود حيث كان هذا الأخير يحلل الأوضاع الدولية الإقليمية

[1] – محمد الصلابي، الدولة الزنكية ، ص 229.

[2] – محمد الصلابي، الدولة الزنكية، مرجع نفسه، ص 233.

ومتابعة الأحداث الجارية وتحليلها بعمق حتى يخرج بنتيجة مرضـــية دقيقة يمكن اعتمادها، وقد شـكلت الحملة الصـليبية الثانية الحدث الأكبر في العالم كله وكانت بالنسـبة لنور الدين الحدث الأول من نوعه بعد توليه الحكم 1146م، فقد كان يتوقع أن حلب لن تكون الهدف الأول لهذه الحملة[1] لأنها تشكلت وتوجهت للشرق لكن الذي حصل أن الحملة غيرت الهدف نحو دمشق وكان هذا تغييرا مفاجئا لنور الدين[2] .

كان لنور الدين محمود المغزى الحقيقي لغزو الفرنجي الســـابق في الحمله الأولى والحالي في الحملة الثانية، كما كان للحملة الصـــليبية الثانية هدف ليس انتقام من ســـقوط الراها فحسب لأن الحملة غيرت مسارها إلى دمشق،[3] فقد أدرك نور الدين أن هدف الفرنجة الحقيقي هو احتلال المشرق الإسـلامي والسـيطرة عليه كما فعلت الإمبراطورية الرومانية من قبل الإسلام[4].

إن نور الدين بما اشـتهر به من سـياسـة بعيدة النظر لابد أن يخوض هذه الحرب من بدايتها، فدمشق بالنسبة له كحلب وهي تشكل الخط الأول للدفاع عن حلب والموصل وباقي بلاد المسـلمين ولذلك قام بحشـد جيشـه إلى جانب جيش أخيه سـيف الدين غازي إمبراطور الموصـــل بالقرب من حمص وبعلبك لإجراء التنســـيق اللازم مع حكام دمشـــق حول العمل المشترك وقد كان لهذا الأثر الرئيسي وبسبب الحشد الكبير استطاع إفشال الهجوم الصليبي،[5] وقد خرج نور الدين من هذا الحدث بدروس مهمة تؤكد قناعته ومواجهاتها السابقة ألا وهي: الأهمية القصـوى للوحدة بين الإمارات الإسـلامية لمواجهة الخطر الفرنجي وتحرير البلاد من سيطرتهم، ثم الأهمية الاستراتيجية لإمارة دمشق في المواجهة مع الفرنج وضـرورة الاستيلاء

---

[1] – ستيفن رانسيمان، تر: نور الدين خليل تاريخ الحملات الصليبية (مملكة عكا والحملات الصليبية المتأخرة)، 2007، ص 523.

[2] – ستيفن رانسيمان، مملكة عكا والحملات الصليبية المتأخرة، مرجع نفسه، 524.

[3] – أنظر الملحق رقم 01، ص 115.

[4] – علي محمد الصلابي، الدولة الزنكية، ص 236.

[5] – عبد القادر أحمد أبو صيني، مرجع سابق، ص 151.

عليها بأي ثمن، فكان نور الدين محمود المستفيد الرئيسي من فشل الحملة الصليبية الثانية فقد برز أهمية الدور الذي قام به وأخوه سيف الدين غازي في إرغام الفرنج على الانسحاب خائبين وظهرت بفضله أهمية التعاون والتضامن بين الإمارات الإسلامية في حمايتها من أطماع الفرنجة وهذا ما كان نور الدين يسعى لتحقيقه والتي كانت تمثل الهدف الاستراتيجي له[1] .

أدرك هذا الأخير بعد فشل الحرب الصليبية الثانية أهمية دمشق الكبيرة سواء من حيث موقعها الجغرافي أو من حيث كثرة مواردها وقوتها البشرية فترسخت فكرة الاستيلاء عليها في نفسه وأخذ يسعى لتحقيق ذلك معتمدا وسائل سلمية[2].

برز نور الدين خلال حملته بوصفه له بالملك العادل المؤمن بالهدف الواحد وهو تحرير فلسطين (البيت المقدس) من الصليبيين، كما أمن به غيره من القادة الذين سبقوه، لكنه اختلف عنهم بإيمانه المطلق لهذه القضية وإخلاصه لله عز وجل، كما أنه هيأ كل الأسباب التي يمكن أن تؤدي إلى تحرير الأقصى بدءا من المدارس إلى العلماء الذين بدأوا بكتابة المؤلفات حول جهاده وأهميته وحث المسلمين على الجهاد إلى العامة من الناس ومنه ما أكمله تلميذه صلاح الدين، فنور الدين بدأ في إمارة حلب ثم أصبحت المدن الكبيرة تابعه له كدمشق والموصل ثم مصر، ومن ثم مهد لصلاح الدين الأيوبي ليقيم دولته التي سميت بالدولة الأيوبية، من أجل ذلك كانت كل الأضواء مسلطة على كفاح وجهاد القائد المخلص وعلى ملكه العادل[3] .

أصبح نور الدين من خلال ما قدمه في الحملة الثانية قدوة بفضل عدالته، فأسر القلوب وبهر العقول فنجح بسياسته على الصعيد الواقع بتطبيق وإيصال الحقوق إلى أهلها

[1] – عبد القادر أحمد أبو صيني، مرجع نفسه، ص 73.

[2] – علي محمد الصلابي ، الدولة الزنكية، ص 240.

[3] – غانم شيحان، جويعد الشمري، مرجع سابق، ص 217.

فبعث فيهم العزة والكرامة فنشـــط الجهاد والدفاع عن دينه وعقيدته وأوطانه فأنشـــأ دار العدل التي كانت بمثابة محكمة عليا لمحاسبة كبار الموظفين.

بالنســبة للنصــارى المتواجدون في دولة نور الدين فأنهم لم يمســوا بأذى رغم ظروف الصراع الإسلامي الصليبي ولهم كل الرعاية ولم يعرف عنه أنه هدم أي كنيسة ولا أذى قسا أو راهبا وكان الصــليبيون إذا دخلوا بلد قتلوا جل أهله المســلمين ولو أنه تأثر بذلك وعاملهم بالمثل، لقام له في ذلك عذر ولكنه كان إنســانا عظيما لا يقيس نفســه بأولئك الجفاة الذين أساءوا حتى إلى نصارى البلاد فظلت الكنائس في بلاده عامرة بأهلها[1].

كان لاســتعادة المســلمين لإمارة الرهاء (الصــليبية) في عهد عماد الدين الزنكي بعثا بالسرعة في إرسال حملة صليبية ثانية نظرا لمكانتها الاستراتيجية في الشرق الأدنى فتزعزع كيانهم بسقوطها[2] .

وصلت الإغاثة إلى البابا "بوجينيوس الثالث" من الصليبيين في الشرق إذ بعثت ملكة بيت المقدس الصليبية بوفد إلى البابا تطلب النجدة فقام القس الفرنسي "برنارد" بالدعوة للحرب ضد المسلمين فقاموا بخيانة ملك دمشق وكانت وجهتهم المباشره والأولى لها[3].

لأنه في البداية نجد أن نور الدين أثناء حكمه بعد وفاة أبيه كان يواجه مشـــكلتين كبيرتين هما أتابكية دمشق والإمارات الصليبية المنتشرة في مختلف بلاد الشام، لذلك فكان يستكمل سياسة والده مع أخيه القاضية بالتصدي للصليبيين فبذلك أثبت جدارته في نصرة دمشق والدفاع عنها حيث جعلت منه بطلا حقيقيا من أبطال عصره[4] .

لحظة إدراك نور الدين محمود ضــرورة الالتحاق بالقوة الكبرى وإنهاء ظاهرة التشــرذم السياسي الذي كان سائدا في الدولة الإسلامية في بلاد الشام حينذاك ولم يكن ذلك إلا بضم

---

[1]– أبو شامة المقدسي، المصدر السابق، ص 364.

[2] – محمد سهيل طقوش، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، دار الأفاق الجديدة، ط2، بيروت، 1431هـ، 2010م، ص 171.

[3] –طقوش ، مرجع نفسه، ص 172.

[4] – المزيني، مرجع السابق، ص 44.

الكيانات المحلية وتوحيد سيادتها بهذا الجانب استغل شعارات الجهاد ضد الصليبيين وبالتالي تمكن من تغيير خريطة الشـــام ومن أهم هذه الكيانات الســـياســـية التي كانت موجودة إمارة دمشق التي تطلع نور الدين لضمها من أجل توطيد أقدامه في حلب لأن السيطرة على هذه المدينة والمناطق التابعة لها ستكون خط الدفاع الأول لإمارته الناشئة في حلب[1] .

لأنه كان مدركا للأوضاع التي يعيشها العالم الإسلامي من تقسيم وتفكك نتيجة عدم التوحد والانهيار ومن ثم أول خطواته بالتوجه للتصـــــدي الصـــــليبي، فقوى جبهته بالعلماء والفقهاء والمشـــورة من أجل نجاح ثورته، ولم يدرك الصـــليبيون خطر هذا التقارب حتى تلك اللحظة حيث لم يترك نور الدين إلا وأن ســـاند حاكم دمشـــق في "حوران" مما زاد نفوذ نور الدين مما أدى بالحملة الصليبية الثانية إلى انشقاق الغرب الأوروبي على نفسه[2].

2. سياسة نور الدين محمود في ضم دمشق:

كان نور الدين يحاول التقرب من أهل دمشق وكسب ثقتهم واستغلال كل فرصة تحقق له ذلك، سعيا منه لتحقيق هدفه الرئيسي بضم دمشق دون حرب. ، وقد وصلته أخبار عن أعمال نهب، وتخريب يقوم بها الفرنجة في مناطق "حوران" التابعة لدمشـــق في نهاية عام 544 هـ/ 1149م ، دون أن يردعهم أحد[3].

حيث احتبس المطر والناس أصـــبحت تعاني من الجفاف والقحط فتوجه نور الدين بجيشه حتى وصل "بعلبك" وأرسل "مجير الدين أبق" حاكم دمشق يقول له: "أني ما قصدت بنزولي هنا طلبا لمحاربتكم، وإنما دعاني لهذا الأمر كثرة شـــكاية أهل حوران، بأن الفلاحين أخذت أموالهم وســـبيت نســـائهم وأطفالهم بيد الفرنج، وعدم الناصـــر لهم، ولايســـعني مع ما أعطاني الله تعالى وله الحمد من الاقتدار على نصـــرة المســـلمين، وجهاد المشـــركين، وكثرة

[1] – عاشور فايد حماد، جهاد المسلمين (العصر الفاطمي، السلجوقي، الزنكي)، مؤسسة الرسالة، ط4، بيروت، 1988، ص 206.

[2] – المزيني، مرجع سابق، ص 45.

[3] – أبو صيني، مرجع سابق، ص 98.

المال والرجال أن أقعد عنهم ولا أنتصـــر لهم مع معرفتي بعجزكم عن حفظ أعمالكم والذب عنها، والتقصـــير الذي دعاكم إلى الاســـتصـــراخ بالفرنج على محاربتي، وبذلت لهم أموال الضـعفاء والمسـاكين من الرعية ظلما لهم، وتعديا عليهم، وهذا ما لا يرضـي الله ولا أحد من المسـلمين ولابد من المعونة بألف فارس تجرد مع من يوثق بشـجاعته من المقدمين لتخليص ثغر عسقلان وغزة[1]."

هذه العبارات من قلب مكلوم، حيث يرى الفرنج يتداعون على المســـلمين وأولوا الأمر يقفون مكتوفي الأيدي، يذهبون عن أمتهم ولا يدافعون عنها ولا على رعيتهم بل وصـل الأمر إلى أنهم يبذلون أموال المســـلمين لأعداء الإســـلام مع أنه لا يجوز إعطاء الكافرين أموال المسلمين وأراضيهم فكان لابد وأن يتحرك الشرفاء والأبرار[2].

لقد اعتمد نور الدين محمود على خطة عمل فيها على ثلاثة محاور من أجل الاستيلاء على دمشق وضمها سلميا دون عنف وسفك للدماء وكان على الشكل التالي :

المحور الأول تمثل بالعمل على توجيه حملة دعائية عامة إلى أهالي دمشـــق يتم من خلالها إبراز الأحوال السيئة والأوضـاع المتردية التي تسـود إمارتهم بسـبب إدارة حكامها وفسـادها، وتعاملهم مع الأعداء بالمقابل أبراز ما ينتظرهم من نور الدين محمود .

وكانت القواعد والأســـس اللازمة لمثل هذه الحملة متوفرة موجودة أصـــلا من خلال الواقع الذي يعيشهأاهالي مدينة حلب وغيرهم من رعايا نور الدين محمود، من خلال ما تناقله الناس عن عدله وحسـن سـيرته وجهاده، ولكنه أراد أن يخص أهل دمشـق وأن لا يحدثوا أية أضرار في الممتلكات والمزارع[3] .

وعندما علم باعتداءات الفرنجة على "حوران" (جنوب دمشق) وقتلهم للمسلمين وسلبهم للنسـاء والأطفال ونهبهم للمواشـي دون خروج حاكم دمشـق لدفعهم، بادر بالتوجه بجيشـه إلى

[1] – المزيني، مرجع سابق ، ص 99.

[2] – ستيفن رانسيمان، مرجع سابق، ص 523.

[3] – ابن القلنسي، مصدر سابق، ص 309.

دمشق، وعندما اقترب إلى المدينة أرسل لحاكمها الرسالة الأنفة الذكر، كذلك علم أيضا نور الدين أن حاكم دمشق طلب مساعدة الفرنجة، فأجرى تعديلا على توزيع مواقع قواته للتعامل مع الموقف الجديد[1] .

التقى "مجير الدين أبق" مع قادة الفرنجة وأعد معهم اتفاقه القديم ولكن أدرك فيما بعد عزم نور الدين لتصميمه على احتلال المدينة فارسل إليه بطلب الاجتماع به وإعلان الطاعة له وذكر اسمه في الخطبة وإعلان له الطاعة وصك اسمه على النقود مقابل بقائه حاكم على المدينة فقبل نور الدين العرض[2].

المحور الثاني كان العمل يشتمل على الاتصال سرا بوجوه مدينة دمشق وأعيانها من كبار التجار والقضاة، العلماء وبعض قادة الجند وقادة التنظيمات الشعبية، لاستغلال نفوذهم و تأثيرهم لصاع التغيير المطلوب في الوقت المناسب، وكان من أشهر العاملين على هذا المحور القائد المشهور أسد الدين شيركوه وأخوه أيوب والد صلاح الدين ، فقد كان هذا الأخير من سكان دمشق ومن أشهر وجهائها بينما كان أسد الدين من أكبر القادة العسكريين العاملين مع نور الدين محمود، فاستغل نور الدين هذا الوضع وأوعز إلى قائده أسد الدين بمراسلة أخيه نجم الدين وتحريضه على الإطاحة بمجير الدين أبق، لتسهيل تسليم المدينة لنور الدين بدون قتال فاستجاب نجم الدين، و أخذ أعيان دمشق يراسلون نور الدين يطلبون حضوره معلنين استعدادهم حصر مجير الدين أبق في قلعة دمشق وتسليم المدينة له دون قتال . [3]

رغم قوة نور الدين فإنه كان لا يؤذن لأحد من عسكره الشروع في قتال أحد من المسلمين كما كان يكره سفك الدماء لإخوانه ومن الأمثلة التي تدل على حرص نور الدين على حرمات المسلمين وأرواحهم أنه قد أرسل خطابا لمجير الدين "ما قصدت بنزولي هذا

[1] – أبو صيني، مرجع سابق، ص98.

[2] – ابن القلنسي، مصدر سابق، ص 309.

[3] – ابن الأثير، الباهر، ص 107.

المنزل طالبا لمحاربتكم ولا منازلتكم وإنما دعاني هذا الأمر كثرة شـــكية المســـلمين من أهل حوران من العربان"، ونتيجة هذه الرسالة فقد سعى مجير الدين أن يلتمس مساعدة من حكام بيت المقدس من الصـليبيين لكن الملك بلدودين الثالث لم يكن يريد الاصـطدام مع نور الدين لأنه كان يشكل خطرا عليه وعلى إمارته[1].

المحور الثالث الذي تمثل في اختصـاص نور الدين نفسـه بخبرته وقدرته على تحليل النفوس حتى نفاذه إلى شـخصـية مجير الدين أبق وتحليلها لمعرفة كل رغباته وميولاته، فأخذ يراسله ويستشيره في أمور المسلمين ويتقرب إليه بالهدايا[2] حتى يرتاح له ويثق فيه، ثم بدأ في توقيعه بينه وبين قادته وأمرائه حتى يجردهم مجير الدين من مناصـيبهم أو ينهي حياتهم، فلم يبقى من قادته وأمرائه من يعتمد عليهم في ضـــبط الجيش والقتال وما يدرها فكرهه أعيانه وعزلوه منبوذا، فهكذا أصبحت دمشق ثمرة حاضرة في يد نور الدين الذي سارع إليها بجيشه فأثاروها وهاجموا أبواب المدينة من الداخل وفتحوها، بينما مجير الدين أبق تصـــسـن مع من بقي معه في قلعة المدينة وطلب النجدة من الفرنجة الذين ســارعوا إليها، لكن نور الدين كان أسرع منهم فأرجعهم خائبين وضـعفاء مقهورين ، وفي هذه الأثناء أرسل نور الدين إلى مجير الدين بالاســتســلام مؤمنه على نفســه ووعده بإقطاعه حمص فعندما قبل أبدله مدينة حمص بآلس على نهر الفرات في الشرق[3] .

فبعد حكمه لدمشـق أقام العدل فيها ولم يتعدى أحدا من جنوده على أحد من سـكانها، وكان ينزل من القلعة ليتفقد العامة من الناس ولا يحكم لأحد فيها إلا بشـهود على المتهم فإن قامت عليه البينة الشـرعية عاقبه العقوبة العادلة من غير تعد وأمنت دمشـق وقل المفسـدون فيها واتباع الشرع المطهر[4].

---

[1] – ابن الأثير الباهر، مرجع سابق، ص 107.

[2] – الصلابي، الدولة الزنكية، ص 461.

[3] – ابن القلنسي، مصدر سابق، ص 325.

[4] – عماد الدين خليل، الرجل والتجربة، مرجع سابق، ص 88.

كان هو القاضـــي الحاكم العدل بمدينته العليا هذا ما مكنه من تحقيق الخطوات الحاسمة في طريقه لأخذ دمشق ونصرتها وإنهاء الخلافات فيها ووحد مصر والشام والعراق تحت راية واحدة،[1] وهو كثير المطالعة للكتب الدينية متبعا للآثار النبوية محافظا على الصلوات في الجماعات كثير التلاوات، محبا لفعل الخيرات عفيف البطن والفرج مقتصدا في الإنفاق على نفسه وعياله في المطعم والملبس، فتعلم نور الدين القرآن والفروسية والرمي هذا ما شجعه على مواجهة الصليبين[2].

وتســاهمهم مع أســرهم ودفعهم لأموال الأهالي لأعدائهم مع تعرض دمشــق نفســها لمخاطرهم ووقوف حكامها ســدا في وجه تأديب الصــليبيين، لذلك تمكن نور الدين من إثارة أهالي مدينة دمشق ضد حكامها من البوريين فكل هذه الأعمال غرض نور الدين من ضمه لدمشق مع ممتلكاته لتوحيد بلاد الشام وتقوية المسلمين ومحاربة المتعاونين مع العدو ضد المسلمين[3].

وعليه عمد نور الدين أربعة محاور لكي يستطيع دخول دمشق وهناك من يقول اعتمد ثلاث محاور كما سبق الذكر فكان أولها استغلال فجوة بين الحكام والشعب لدفع الدمشقيين للثورة ضــد بيت البوري، والتقرب من مجير الدين أبق وإيهامه برغبته في تناســي الماضــي وإظهار المودة له ووصـــله بالهدايا حتى يثق به ثقة تامة، إيقاع الفتنة بينه وبين كبار رجاله المعارضين بضم دمشق بالجبهة الصليبية، فرض حصار اقتصادي على دمشق حتى يضيق على أهلها الخناق وهذا ما يدفعهم للثورة[4].

ثار أهل دمشــق وفتحوا الباب الشــرقي من المدينة فدخل نور الدين بقوته واســتولى عليها وقبل مجير الدين العرض الذي قدمه له نور الدين وهو محاصــر في قلعته كما ســبق

---

[1] – عماد الدين خليل، مرجع سابق، ص 88.

[2] – ابن كثير، مصدر سابق، ص 277– 278.

[3] – الصلابي، الدولة الزنكية، ص 250.

[4] – طقوش، مرجع سابق، ص 351.

ذكرها وسلم القلعة دمشق وسار إلى حمص ولكنه بدأ في مراسلة أهل دمشق يدعوهم لمؤازرته من أجل العودة إلى حكم دمشـق وإخراج نور الدين منها فعلم نور الدين بذلك المؤامرة فتوجه صـوب مدينة حمص وانتزعها لمجير الدين الذي خرج إلى بغداد وتوفي بها، وهكذا أصـبح اسم نور الدين علما في دمشق منذ أوائل سنة 549 هـ/ 1154م وأصبحت دمشق تتبع له رسميا[1] .

وبسـقوط دمشـق في يد نور الدين فقد قامت لأول مرة منذ أن وطئها الصـليبيون بأقدامهم دولة إسـلامية ومتحدة مركزها دمشق وبذلك أصـبح "بيت المقدس" في متناوله وهذا فقد أتم على ضم مدينة دمشق لنور الدين محمود نتائج عده منها :

- قضـى على الأسـرة البورية وممتلكاتهم إليه وأصـبحت أراضـي الدولة النورية قطعة متصلة من الشمال إلى الجنوب .
- خضـعت إليه كل المماليك في بلاد الشـام وشـكل ضـم دمشـق إلى حلب نوعا من التوازن بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام .
- وبهذا كانت بلاد الشام بحكم موقعها الجغرافي المتميز هدفا محوريا في سياسته[2] .

وفي حقيقة الأمر نقول بدأ تدخل نور الدين في دمشق عندما طلب منه حاكم دمشق مجير الدين أن يقدم له مساعدة حربية قدرها ألفا من الفرسان لمساعدته كما سبق القول في قتال الصـليبيين، فمن الطبيعي أن يحرص نور الدين على تقديم تلك المسـاعدة العسـكرية لدخوله السياسي في شأن إمارة دمشق كل ذلك بغرض تدعيم أركان دولته وتوطيد حكمه[3].

رأى نور الدين أنه لابد من ضـم دمشـق إلى الى حلب حتى يزيح العقبة التي تعرض لها لتوحيد الجبهة الإسلامية، هذا أنه يدرك تماما أنه من الصعب عليه مواصلة الجهاد ضد الصـليبيين طالما بقيت دمشـق في أيدي حكام يحرصـون على مصـالحهم الخاصـة دون

[1] – محمود محمد الحويري، مرجع سابق، ص 94.

[2] – عوض، مرجع سابق، ص 11 – 12.

[3] – عاشور، مرجع سابق، ص 207.

الالتفات للوضع الذي تعاني منه الأمة الإسلامية من تشتت، وكان لمسير أعمال دمشق معين الدين أثر للذي يتمتع به من شخصية قوية في دمشق ويقوم بتوجيه سياسة الأتابك مجير الدين أبق الذي كان صغير السن، وبالرغم من التحالف بينه وبين نور الدين إلا أنه أبقى على تحالفه مع الصليبيين أيضا من أجل المحافظة على ميزان القوة إذ كان هدفه الاستفادة من الجانبين عند الضرورة خاصة وأنه كان يخشى من دولة الزنكي على نفسه أكثر من خشيته من الصليبين[1].

عندما علم نور الدين بأمر الاتفاق الذي حدث ما بين دمشق وبيت المقدس أدرك مدى خطورته على موقفه لأنه ضد تطلعاته الرامية لتوحيد المنطقة، ولذلك عزم نور الدين محمود على التدخل الفوري بغرض ضم دمشق لسلطته وقطع الطريق على بيت المقدس حيث أنه ما وجده في دمشق من الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتدهورة بسبب غارات الصليبيين المتكررة على المنطقة فاستغل فرصة توغل قوة الصليبيين من بيت المقدس في أراضي "حوران" ليكون الدافع الذي من خلاله يتدخل في شؤون المنطقة[2].

قام نور الدين للقضاء على التحالف بمحاصرة دمشق فارتفعت أسعار الغلال واضطربت الأمور فأرسل إلى مجير الدين يخبره غايته من الحصار للمدينة لإصلاح أوضاع المسلمين وجهاد المشركين وتحرير أسرى المسلمين وظل يعمل في سبيل دخول دمشق دون قتال ثم انسحب بسبب هطول أمطار أعاقت العمليات العسكرية، خشية من سفك الدماء باقتحام المدينة حربا، اكتفائه بما عرض على مجير الدين من التنازلات وبالتالي اقتنع نور الدين بأنه قد ضمن دمشق التي باتت في قبضته[3] .

بعد فشله في أسقاط دمشق اتجه إلى سياسة الحصار الاقتصادي فمنع وصول الغلال إليها من حلب والمناطق الشمالية، كما تحالف مع مجموعة أعيان دمشق وكان لهم دور

---

[1] – الصلابي، الدولة الزنكية، ص 575.

[2] – الحويري، مرجع سابق، ص 94.

[3] – المزيني، مرجع سابق، ص 44.

ونفوذ واسع على عامة أهل المدينة مما حسم معركة دمشق لصالحه، انتظر الفرصة السانحة وقد وجدها بعد ثلاث سنوات من هجومه السابق على المدينة كونه اتخذ كل الاحتياطات اللازمة لإسقاط هذه المدينة والتي على رأسها تحطيم الدولة البورية كما بدأ في استغلال قضية تخاذل البوريين أمام الصليبيين[1].

المبحث الثالث: مواجهة نور الدين لمملكة بيت المقدس

تعد مملكة بيت المقدس اللاتينية العدو الرئيسي لدولة نور الدين محمود، حيث عاصر نور الدين اثنين من كبار ملوك الصليبيين هما "بلدوين الثالث" (539 هـ-557هـ/ 1144-1162) وأخوه عموري الأول (557هـ-568هـ/ 1162 - 1174م) ، ويعتبر "بلدوين الثالث" أول ملك صليبي يتربع على عرش مملكة بيت المقدس حيث تمكن من توسيع حدود المملكة كما استولى على مدينة عسقلان عام (548هـ/ 1153م) وحقق الأمن والاستقرار لحدوده، وعمل أيضا على بناء العديد من القلاع والحصون من أجل تعزيز مناطق سيادته ضد أعدائه من المسلمين كما حرص على توفير الأمن والحماية لإمارتي طرابلس وأنطاكية من الفوضى الداخلية والأخطار الخارجية[2]، أما الملك عموري الأول فعمل جاهدا على توسيع حدود المملكة وأراد أن يضع مصر تحت سيطرته دون جدوى وطلب المساعدة من البيزنطيين في مشاريعه ضد مصر[3].

تعد "حوران" منطقة الصراع بين القوات النورية والجيش الصليبي ويعد الموقع الجغرافي والأهمية الاقتصادية لهذه المنطقة العامل الأساسي لبدأ الصراع بين الطرفين لأن موقع "حوران" هو الأقرب لدمشق بالنسبة للصليبيين وهذا يعني أن الصيلبيين إذا استولوا على هذا

[1] – عاشور فايد حماد ، مرجع سابق، ص 209.

[2] – الصلابي، الدولة الزنكية، ص 264.

[3] – عوض، مرجع سابق، ص 112، 113.

الإقليم سيسهل عليهم ممارسة عملية الضغط العسكري والسياسي على دمشق وبالتالي الاستيلاء عليها بسهولة وتحقيق مرادهم التي طالما سعو إليه[1].

بدأ نور الدين محمود جهاده ضد هذه المملكة عازما على تحقيق انتصارات في كل من المجال والاقتصادي والسياسي والعسكري وذلك بمختلف الإمكانيات والوسائل المتاحة سواء بالحرب أو بالوسائل السلمية.

إن من بين العوامل المحركة للسياسة الخارجية النورية إتجاه مملكة بيت المقدس نجد العوامل الدينية التي احتلت مكانة عالية في الجهاد ضد الصليبيين، فقد كان نور الدين زاهدا عابدا لا يفعل فعلا إلى ونيته حسنة في ذلك وكان المدافع الرئيسي للإسلام وواصل حروبه على أساس ديني[2].

ومن الناحية الاقتصادية نجد ذلك واضحا من خلال طبيعة الموقع الجغرافي لكل من الدولة النورية ومملكة بيت المقدس، من فقد تم وصف الأولى بأنها دخيلة غير ساحلية، ليس لها نطاق ساحلي وموائى بحرية على طول الساحل الشامي، ثم خضعت للسيادة الصليبية، وقد أدرك الصليبيون أهميتها من خلال اتصالهم المستمر بأوروبا حيث تلقون الدعم البشري والمالي والمعنوي، كما تم إجراء جزء مهم من تجارة الدولة النورية عبر الموانئ الصليبية في شرق البحر الأبيض المتوسط، كما عملت هذه الدولة أيضا على حماية الطرق التجارية بين دمشق ومنطقة الجليل الأعلى الواقعة بشمال فلسطين باعتبارها الطريق المؤدي إلى الساحل الشامي[3].

وبالنسبة للمجال السياسي فقد كان الجدال القائم بين الدولة النورية والمملكة ذو أهمية كبيرة خاصة لدولة نور الدين لذلك فإن الجدال معها بعد ضروريا لكي يقوم نور الدين نفسه ويجاهد الكفار الصليبيين من أجل مساندة حكمه وتوفير الأمن السياسي له وفشل الصليبيين

[1] – محمد نجيب، عبد الوهاب محمد حمد، مرجع سابق، ص 14.

[2] – ابن الأثير الباهر، ص 164 – 165.

[3] – عوض، مرجع سابق، ص 139.

على المعارضة لكسب أعوان لها طالما أن نور الدين يبذل مجهوده لتأكيد هذا الدور إضافة إلى ذلك فإن دولة نور الدين مثلت مملكة بيت المقدس كمنافس سياسي لها وذلك بعد نجاحها في توحيد بلاد الشام والجزيرة[1].

– أما من الناحية العسكرية فقد عملت الدولة النورية على حشد الجيوش ضد مملكة بيت المقدس الصليبية ورأت بأنها أفضل وسيلة من أجل تحقيق بقية الدوافع السابقة الذكر، ومن أجل فشل نشاطات المملكة الصليبية على المستوى العسكري وحماية حدودها من الخطر الصليبي عملت الدولة النورية على السيطرة على العديد من القلاع والحصون كما رغبت أيضا في تسوية التوازن العسكري مع المملكة الصليبية يتطور بتطور الزمن.[2]

– واجه نور الدين مملكة بيت المقدس بالاتجاه نحو "حوران" وذلك عند ما طلب من معين الدين آنر صاحب دمشق المساعدة[3] وذلك بسب تمرد التونتاش الأمير الأرميني على معين الدين آنر[4] والذي تولى حكم بصرى[5] وصرخد[6]، والأكثر من هذا فقد استعان التونتاش بصليبيي بيت المقدس وذلك عام 542هـ/ 1147م لمساندته ضد معين الدين آنر وطلب منهم الاستيلاء على بصرى وصرخد في حالة تدخلهم العسكري، وأن يكون هو سيدا على

---

[1] – محمد الصلابي ، الدولة الزنكية ، ص 483.

[2] – عوض، مرجع سابق، ص 140.

[3] – أمينة بيطار، تاريخ العصر الأيوبي، دار الطباعة الحديثة، دمشق، 1402هـ/ 1982م، ص 60.

[4] – **التونتاش:** أمين الدولة، الأمير ذو أصل أرميني، تولى حكم مدينتي بصرى وصرخد، واقف المدرسة الأمينية بدمشق توفي سنة 541هـ، أنظر : ابن القلانسي، مصدر سابق، ص 289، الذهبي ، مصدر سابق ، ج 37، ص 421.

[5] – **بصرى:** في الكتابات السامية القديمة تعني "الحصن "، وهي مدينة رئيسية في "حوران"، تقع على الجنوب الشرقي من مدينة دمشق وتبعد عنها 140 كم، أنظر : دريد مقداد، الأماكن الأثرية في بصرى، دار الأهالي، ط1، دمشق، 1995، ص 7 – 8.

[6] – **صرخد:** بلد ملاصق لحوران، وهي من أعمال دمشق، وقلعة حصينة وحسنة وواسعة، أنظر : ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج 4 ، ص 401.

إقليم "حوران"[1] ويذكر أن نور الدين تزوج من ابنة معين الدين وكان هذا الحدث بمثابة عون سياسي وعسكري لدمشق.[2]

فوافق نور الدين على طلب صهره وتقدم بقواته حتى بلغ دمشق[3] ولكن قبل وصول الدعم الصليبي نجحت القوات النورية المسلمة التي قدرت نحو أربعة ألاف بالسيطرة على بصرى وقطع الطريق على الصليبيين من الاستيلاء عليها، وما إن وصلت القوات الصليبية حتى وقعت في أيادي نور الدين وهزموأأما التوتنتاش فقد قبض عليه وأودع السجن[4].

وهكذا نجح نور الدين من اجتياز المرحلة الأولى من جهاده ضد مملكة القدس بالرغم من حداثة حكمه في حلب، كما أثبت دعمه العسكري لأتابكية دمشق ونجاحه في هزيمة الصليبيين في منطقة حوران إذ لم يكن من الممكن كبح التمرد الجامح الذي قاده التونتاشي بمساعدة الصليبيين.[5]

وفي عام 543هـ/ 1145م طلب معين الدين المساعدة مرة أخرى من صهره لمواجهة الحملة الصليبية الثانية بحكم تجربته معه أثناء المشكلة الحورانية بحيث رأى فيه الرجل المناسب الذي يساعده دون تردد أما نور الدين فقد وجد بطلب دمشق فرصة لكي يتدخل أكثر في شؤونها ويضمن في نهاية المطاف سيطرته عليها[6].

ولا شك أن معين الدين أنر كان في وضع خطير، حيث كان بين شق الرحى عدو صليبي في الجنوب، وعدو مسلم في الشمال ولم يكن باستطاعته فعل أي شيئ من غير اللجوء إلى سلطان حلب، فقام بإرسال رسائل إلى نور الدين وأخيه سيف الدين غازي فوافقوا

---

[1] – ابن القلانسي، مصدر سابق ، ص 289.

[2] – عوض، مرجع سابق، ص 143.

[3] – سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حيدر أباد، الدكن، الهند، 1952م، ج8، ص 209 .

[4] – ابن الأثير، الباهر ، ص 88.

[5] – عوض، مرجع سابق، ص 143 – 144.

[6] – مرجع نفسه، ص 145.

على المساعدة وأرسلوا إمدادات ضخمة لمساعدته[1] ومن هنا يمكننا القول بأن نور الدين إتخذ طريق مختلف أثناء جهاده ضد صليبيي بيت المقدس وذلك عن طريق دعم دمشق.[2]

وفي عام547 هـ/ 1153م، تم محاصرة عسقلان وذلك في عهد الملك بلدوين الثالث وذلك عند ما ضعفت الدولة الفاطمية في ظل تغلب الوزراء العظام[3] واستمر الحصار على المدينة لعدة أشهر، كانت المدينة آنذاك تتلق المساعدة عن طريق البحر من طرف السلطة في القاهرة، حيث كانت تتعرض للقصف بالمخانيق، وفي جمادى الأولى اضطرت الحامية للاستسلام لكن بوضع شروط فوافق بلدوين والتزم بالشروط ودخل المدينة محققاً بذلك النصر وقاموا بالسيطرة على المدينة وبذلك أعلنوا إنتصارهم على نور الدين وعلى الهولسة الفاطمية عام 548هـ/ 1153م[4]، لكن نور الدين لم يصمت أمام التحرك الصليبي وأمام أعمال بلدوين الثالث فاستولى على مدينة دمشق عام 549هـ/ 1154م، وحقق انتصارات بحيث مد حدوده إلى الجنوب وبذلك تمكن من هدم حدود المملكة بذاتها وسيطر على ثلاث مدن رئيسية وهي الموصل وحلب ودمشق .[5]

بعد أن ضم نور الدين دمشق، تمكن من مواجهة مملكة بيت المقدس بشكل مباشر من خلال نشوب معركة بانياس عام 552هـ/ 1157م ، ويبدو أنه كان يرفض الدخول في حرب متعددة الأطراف، ، فعقد هدنة مع هذه المملكة مدة عام بداية من شعبان 551هـ/ سبتمبر 1156م، لكن الملك بلدوين خرقها[6] وذلك من خلال تدخل همفري الثالث وهو حاكم بانياس فهاجم الرعاة والفلاحين المتواجدين في المناطق القريبة للحصن[7] فقتل وأسر وأصيب

---

[1] – ابن واصل، مصدر سابق، ص 112.

[2] – محمد الصلابي، الدولة الزنكية ، ص 267.

[3] – عوض، مرجع سابق، ص 148.

[4] – شيخاوي يوسف، دور السلطان نور الدين محمود زنكي في الحروب الصليبية، رسالة لنيل شهادة الماجيستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2011/ 2012م، ص 86.

[5] – محمد الصلابي ، الدولة الزنكية ص 268.

[6] – ابن القلانسي، مصدر سابق، ص 336– 337.

[7] – رانسيمان ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط3، ج1، 1981، ص 552

آخرون وسلب كل ما وجده عندهم قطعان الماشية وتدمير المحصول[1]، فلما سمع نور الدين بما حدث للرعاة خرج مسرعا للوقوف في وجه الصليبيين والانتقام منهم، فوصل إلى بعلبك وموطن بالقرب منها وأرسل قوة من جنده بقيادة أسد الدين شيركوه إلى حصن بانياس يتعرف على أوضاعها ، ولعل إرساله لهذه القوة الصغيرة يطمئن الصليبين بأن جيشه محدود الإمكانات ولا يستطيع فعل شيء وبالتالي خرج همفري الثاني بقواته لمواجهتها وهنا وقع في فخ أعده نصرة الدين أخو نور الدين محمود[2] وكللت العملية بالنجاح وقتل العديد منهم ، يقول ابن القلانسي: "صاروا بأجمعهم بين قتيل وجريح ومسلوب وأسير وطريح "[3] واستطاعت القوات النورية من السيطرة على بانياس، وعاد بلدوين الثالث واستطلاع إحتلالها في نفس العام[4].

وفي عام 560هـ / 1164م تمكن نور الدين من فتحها، اتبع نور الدين خلال جهاده في مملكة بيت المقدس إلى العديد من الوسائل كسياسة التخريب والفساد الاقتصادي في ممتلكات المملكة وعمل على مهاجمة العديد من القلاع والحصون التابعة للملكة بهدف إضعافها وحرمانها من مصادر القوة[5].

وفي ماي 553هـ / 1158م حدثت معركة السواد وكانت رغبتهم في ذلك القضاء على الحصون، حيث جهز شيركوه جيشا عظيما وتوجه به نحو المدينة وحاصرها وضربها بشدة وذلك في الوقت الذي كان فيه الصليبيون يعملون على إعادة ترميم المدينة وذلك نتيجة مخلفات الزلازل التي ضربتها عامي 555هـ – 552هـ، واستطاع المسلمين حصاد الكثير من الغنم[6].

---

[1]– ابن القلانسي، مصدر سابق، ص 337.

[2] – طقوش، مرجع سابق، ص 297 – 298.

[3] – ابن القلانسي، مصدر سابق، ص 339.

[4] – سعيدعبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط8، ج2، 1418هـ/ 1978م، ص 668.

[5] – عوض ، مرجع سابق، ص 152.

[6] – أسامة زكي، صيد ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980، ص 150–151.

وفي عام 561هـ/ 1165م تمكنت قوات نور الدين من فتح حصـــن هام الواقع على حدود بلاد العرب فيما وراء نهر الأردن، والذي حاول عموري الأول من استعادته لكن محاولته هذه باءت بالفشل[1] كما تمكن جيش نور الدين من فتح حصن قرب صيدا عام 561هـ/ 1165م عرف بحصن[2] صور[3]، كما هاجم مناطق هونين وخربها.[4]

اتبع نور الدين أســلوب آخر في حروبه ضـــد مملكة بيت المقدس والمتمثل في عقد الهدن القصيرة وذلك لكي يتفرغ للحرب على الجبهة الشمالية وبالتحديد إمارة أنطاكية، فهو لم يكن يريد الوقوع في فكي الكمان، وحتى يضـــمن حياة الصـــليبيين في الجبهة الجنوبية[5]وقد اتجه إلى مهادنة المملكة وذلك عام 550هـ/ 1555م لمدة دامت عام، لتتجدد المواعدة في العام التالي 551هـ/ 1156م وذلك مقابل أن ترسـل دمشـق قطيعة للصـليبين قدرت بثمانية آلاف دينار صـــوري، وعند انتهاء العامم رتبت معاهدة أخرى لمدة عام بالجزية التي كانت تدفعها الدولة النورية، لكن هذه المعاهدة تم كســـرها وذلك عندما واجه بلدوين الثالث مراعي بانياس، في عام 556هـ/ 1160م عقدت هدنة بين الجانبين لمدة عامين ، ونتيجة الزلازل التي أحلت ببلاد الشـــام عام 566هـ/ 1170م لجأ نور الدين إلى عقد هدنة مع عموري الأول، وكذلك تم عقد هدنة قصيرة لمدة ثلاثة أشهر وذلك عام 568هـ/ 1173م وعلى إثرها اتفقوا على أن يدفع الصليبيين للدولة النورية أربعة آلاف دينار صوري.[6]

ومن الواضـــح أن ذكاء نور الدين في عقد الهدنات مع الصـــليبين حتى يخفف الحمل على قواته من عناء الحرب ويسندهم في آن واحد، بحيث لم تشهد ساحات الصراع بينه وبين

---

[1] – عوض، مرجع سابق، ص 153.

[2] – أسامة زكي ، مرجع سابق، ص152

[3] – **صور**: مدينة مشهورة موقعه من ثغور المسلمين، وفي مشرفة على بحر الشام داخلة في البحر مثل: الكف على الساعد، يحيط بها البحر جميع الجوانب إلا الرابع الذي منه شروع بابها، وهي مدينة حصينة جدتا لاسبيل إليها، ياقوت، معجم البلدان، ص 433.

[4] – عوض، مرجع سابق، ص 153.

[5] – محمد نجيب، عبد الوهاب محمد حمد، مرجع سابق، ص 17.

[6] – عوض، مرجع سابق، ص 156 – 157.

المملكة معارك مندفع يتم القضـــاء فيها على قوات قضـــاءا تاما وإن ســـلمنا بما قاله وليم الصـــوري حول أن نور الدين قدم للصـــليبيين مبلغ مالي لوقف القتال معهم فإننا لا نرى في ذلك خيانة في توجيهات نور الدين لأنه كان حريصـا كل الحرص على مصـلحة المسـلمين وأنه فعل كل ذلك بمصلحة دولته.[1]

وعلى الرغم فإن ماقدمه نور الدين في جهاده ضـــد المملكة إلا أنه لم يتمكن من إسـقاطها لكن ليس معناه أن نسـتحقر مجهوداته ورغبته في الطموح، بل يجب علينا أن نقدر المجهودات الجبارة التي قام بها اتجاه هذه المملكة من أجل اسقاطها واعتبارها السبيل الممهد لصلاح الدين الذي تمكن من إسقاطها عام 583هـ/ 1187م وامتدت ساحة حروبه من إمارة الرها إلى أنطاكية ثم طرابلس ثم بيت المقدس واســتطاع أن يســقط العديد من الحصــون والمعاقل[2] وخاض المعارك مع جبهتين الشـــمالية والجنوبية في آن واحد، ووجه الجبهة الإسـلامية، وأدى ذلك إلى حصـر المملكة الصـليبية في منطقة سـاحلية ضـيقة دون أن يؤثر كل ذلك على الأعمال الداخلية التي حققها داخل البلاد وهذا يدل على ذكاؤه الذي كان يتمتع به .[3]

[1] – عوض، مرجع نفسه، 158 – 159.

[2] – محمد الصلابي ، الدولة الزنكية ، ص 273.

[3] – محمد نجيب عبد الوهاب، المرجع السابق ، ص 18.

المبحث الرابع: الحملات النورية العسكرية على مصر

أولا: أسباب فتح مصر عند نور الدين

يعد فتح مصـر من أعظم الانتصـارات التي حققها نور الدين ضـد الصـليبيين وكان نتيجة هذا الفتح أن أسقط الدولة الفاطمية التي كانت تشكل خطرا كبيرا على العالم الإسلامي بنشرها الفساد السياسي والخلل العقدي في أرجائه، وبدعمها للصليبيين في احتلال بلاد الشام وبنشرها المذهب الباطني بين المسلمين، ونظرا للفوضـى التي سادت أنحاءها قرر صـليبيون السيطرة عليها .

لكن نور الدين تصـدى لأطماعهم بحمالات عسكرية استطاع من خلالها بسط نفوذه في المنطقة ومن أهم العوامل التي أدت للسيطرة على مصر: [1]

- اضطراب الأحوال الداخلية لمصر حتى أصبحت حالات القتل من الأمور الشائعة كأن يقتل الخليفة أو الوزير خلال الصـــراع الدائر بين الوزراء أنفســـهم، بالإضـــافة إلى حالات الفوضـــى التي ســادت البلاد، حيث تولى في عام واحد ثلاثة وزراء العادل بن رزيك وشــاور وضـرغام، فضـعفت البلاد وتم طرد شـاور من مصـر بعد أن اسـتنجد بنور الدين الذي وجد الفرصة المواتية لتوحيد البلاد الإسلامية في بلاد الشام ومصر[2] .
- أجبرت الأطماع الصليبية القائد المجاهد نور الدين محمود بضم مصر إلى الوحدة الإسـلامية بالإضـافة إلى تلقيه الكلمة الرسمية من الخليفة العباسـي تسمح له بتسليم سـلاحه نحو الشام ومصر عام 549 هـ شجعته لإنجاز هذا الأمر.
- إن بين أهم العوامل التي أدت إلى القضـــاء على مصـــر وإســـقاطها العامل العقدي، فقد كانت دولة باطنية المعتقد ذو مذهب إسـماعيلي، عملت على احتلال بلاد الشـام بتحالفها

[1] – محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في عهد نور الدين وصلاح الدين، مكتبة الكوثر، ط1، 1998م، ص 195.

[2] – سعيدعبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عهد المماليك والأيوبيين، دار النهضة العربية بيروت، 1972م، ص11.

وتآمرها مع الصليبيين وفرقت وحده المسلمين، فكان من الضروري إقامة وحدة قوية تضم إلى الخلافة العباسية أرض الكنانة مع بلاد الشام[1].

ثانيا: الحملات النورية على مصر

1. نور الدين يهاجم حصن الأكراد :

كان نور الدين مهتما بتحركات عموري الأول بدقة، وأثناء هجومه على مصر استغل نور الدين فرصة غيابه وهاجم إمارة طرابلس والتي كانت بين أضعف الإمارات الصليبية المتبقية أنذاك، فهاجم البقيعة أولا متوجها إلى حصن الأكراد الذي يشرف على السهل الضيق، وصادف هجومه بعض الأمراء الصليبيين من فرنسا في أراضي طرابلس عائدين من بيت المقدس بغرض الحج، وانضموا إلى ريموند الثالث كونت طرابلس الذي قرر مهاجمه نور الدين محمود[2] .

استنجد ريمونت الثالث بأنطاكية وكان له المدد السريع من الشمال من طرف أميرها بوهيموند الثالث وقسطنطين كولومان قائد الحامية في بيزنطة، ولجأ هذا التحالف قوات نور الدين محمود لمحاصرة حصن الأكراد فوقعت معركة بينهما إلا أنها لم تستمر طويلا وانسحب نور الدين بجيشه ومضى نحو مدينة حمص أين عسكر هناك وبالتحديد على بحيرة القدس القريبة منها، وأعاد ترتيب جيشه من جديد في حين تلقى مساعدات من دمشق وحلب وكان خائف من مواجهة الصليبيين، لكن الصليبيين خشوا من مطاردته داخل أملاكه فرجعوا أدراجهم[3].

---

[1] – سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، أطلس، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، 1430هـ/ 2009م، ص 94.

[2] – طقوش، مرجع سابق، ص 326.

[3] – ابن الأثير، الكامل ، ج9، ص 465 – 466.

2. شاور يطلب مساعدة نور الدين محمود:

وصل شاور إلى مدينة دمشق وفي عام 550 م واجتمع بنور الدين وطلب مساعدته لإرجاعه إلى منصبه، فلبى نور الدين طلبه ونجم عن هذا الاجتماع تعهد شاور بما يلي :

- يدفع ثلث خراج البلاد المصرية بعد دفع رواتب العساكر أو الجنود .
- أن ينوب مكان نور الدين بمصر وذلك إذا قام بمساعدته في التغلب على ضرغام.
- أن يوافق على إقامة شيركوه معه في مصر ويعترف بسيادة نور الدين ويلبي طلباته[1] .

كان نور الدين مترددا قبل موافقته بقبول العرض، وفكر في دراسة الموقف حتى تتبين له حقيقة الأمور، لأنه كان يخشى أن يتعرض جيشه للخطر الصليبي وراء الأردن، كما أنه لا يريد أن يبين مطامعه في ضم مصر، وقد بين المقريزي موقفه بهذا الوصف: "فبقي نور الدين يقدم إلى هذا العرض رجلا ويؤخر أخرى، فتارة يقصد رعاية شاور لكونه التجأ إليه وكون ماقاله زيادة في ملكه وتقوية له على الفرنج، وتارة يخشى خطر الطريق كون الفرنج هناك، ويخاف من شاور أنه إذا استقرت قدمه في مصر غدر في قوله وخلف بما وعد، ثم قوى عزمه على إرسال الجيوش فتقدم بتجهيزها وإزاحة عللها[2]."

ويعود فضل اتخاذ نور الدين لقرار السير إلى مصر إلى أسد الدين شيركوه الذي أزاح مخاوفه وشجعه على التقدم وأقنعه بأن أهل مصر يريدون حاكما مسلما في بلادهم يحميهم من الغزو الصليبي، ومن هنا نبرز الدور الفعال الذي يلعبه شاور في توجيه سياسة نور الدين في الوقت الذي كان هو بحاجه إليه[3].

ونتيجة لهذا أرسل نور الدين حملة عسكرية إلى مصر تحت قياده أسد الدين شيركوه. وكانت الحملة تقتضي مبدأين هما:

---

[1] – الشمري، مرجع سابق، ص 120.

[2] – تقي الدين أحمد بن علي، المقريزي، اتعاض الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: محمد حلمي محمد أحمد، دار إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1416هـ/ 1996م، ج3، ص 264 – 265.

[3] – طقوش، مرجع سابق، ص 328.

- إعادة شاور إلى منصبه بعد أن نزعه منه ضرغام[1] .
- التطلع على الأحوال الداخلية لمصر تمهيدا لضمها[2] .

ولما علم شاور بتعيين أسد الدين شيركوه قائدا للحملة استاء من الأمر لأنه كان يرغب في قيادتها بنفسه كونه يعلم بالقوة والشجاعة التي يمتلكها شيركوه[3]، أما ضرغام فلما علم بأمر الحملة استنجد بعموري الأول ملك بيت المقدس لمساعدته أو عقد معه اتفاقا للوقوف في وجه نور الدين مقابل أن يدفع له وأن تكون مصر تابعة للصليبيين فقبل عموري هذا الطلب وأمر الخليفة العاضد بالتوقيع عليه[4] .

خرج أسد الدين شيركوه على رأس قواته متوجها إلى مصر برفقة ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب في جمادى الأخرى عام 559 هـ أفريل 1164م ، وكان سيرهم عبر أراضي تخضع لسيطرة الصليبيين[5] أما نور الدين فسار إلى بلاد الإفرنج رفقة عساكره ليحذرهم من عدم التعرض لشيركوه وجيشه، وبدأ بالهجوم على الأطراف الشمالية لمملكة بيت المقدس وهذا عند انشغال عموري الأول عن تلبية نداء ضرغام[6] .

توجه شيركوه بجيشه إلى مصر رفقة شاور وسار نحو الشوبك ثم أيلة، ومنها إلى السويس، ولم يكن ضرغام على علم بوصول رسل الفرنج الذين طلبوا منه مال الهدنة المقرر لهم في كل سنة على أهل مصر والذي يبلغ ثلاثة وثلاثون ألف دينار، ولما وصل خبر وصول شاور وأسد الدين وبعض الأتراك[7] إلى مشارف القاهرة أرسل ضرغام بقيادة أخيه ناصر الدين قوة عسكرية من أجل التصدي لزحف الحملة لكنها أسفرت في النهاية عن فشل

---

[1] – ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 465.

[2] – طقوش، مرجع نفسه، ص 328.

[3] – ابن الأثير، الكامل، ج9 ،ص 465.

[4] – وليم الصوري، مصدر سابق، ج2، ص 886.

[5] – بهاء الدين بن شداد، مصدر سابق، ص 76.

[6] – طقوش، مرجع سابق، ص 329.

[7] – المقريزي، مصدر سابق، ص 266.

هذا الأخير بمدينة بلبيس وعاد مهزوما إلى القاهرة[1] وما أن وصـــل القاهرة حتى طرده أســد الدين شيركوه فتجهز ضرغام بكل قواته وخرج إلى شيركوه وحدثت بينهما معركة عنيفة انتهت بانتصار أسد الدين شيركوه وقتل هناك ضرغام بعد محاولته الفرار في شهر رجب 559 هـ/ 1164م، كما قتل أخوه ناصـر الدين، ودخل عز الدين شـيركوه القاهرة رافعا راية الانتصـار وأعاد شاور إلى منصبه في الوزارة ثم أقام معسكره خارج مدينة القاهرة[2].

أ. وزارة شاور الثانية:

بعد اسـتعادة شـاور لمنصـبه في الوزارة الفاطمية عاد إلى ما كان عليه من العادات السيئة من ظلم وخداع فأساء معاملة الناس، ووصل به الحد إلى أن غدر بنور الدين محمود بمخالفة الإتفاقية المتفق عليها وطلب من شـــيركوه الخروج من مصـــر وأن يعود إلى بلاد الشـــام، لكن شـــيركوه رفض الطلب ورد عليه بالاســـتيلاء على بلبيس وســـيطر على البلاد الشرقية لمصر[3] .

وأمام هذا التصـرف سـارع شـاور بالاسـتنجاد بالملك عموري الأول الذي كان بدوره يتأهب للدخول إلى مصر وأخذ يخوفه من نور الدين وعرض عليه :

- أن يؤدي لهم مبلغ قيمتـه ألف دينـار عن كـل مرحلـة من مراحـل الرحلـة من بيـت المقدس إلى نهر النيل بلغ عددها سبعا وعشرين مرحلة.
- يمنح مدينة لكل من يصـحبه من فرسـان الأسـبارتية الذين كانوا يشـكلون عماد الجيش لمملكة بيت المقدس.
- يتكفل بنفقات علف أفراسهم، مقابل مساعدته لإخراج شيركوه من مصر[4].

[1] – ابن الأثير، الباهر، ص 121.

[2] – ابن الأثير، الكامل ، ج9، ص 466.

[3] – طقوش، المرجع السابق، ص 330.

[4] – ابن الأثير، الباهر، ص 121 – 122.

3. ردود فعل نور الدين محمود ضد حملة عموري الثانية على مصر:

أ. فتح حارم:

استغل نور الدين غياب عموري الأول وقرر مهاجمة إمارة أنطاكية وصوب هدفه بالضبط على حصن حارم الذي يعد الباب الرئيسي لأنطاكية، وقام بمحاصرتها وكان هدفهم من ذلك تخفيف الضغط على شيركوه وإجبار عموري على الإنسحاب لكن الصليبيين لم يقفوا مكتوفي الأيدي وقرروا مهاجمة نور الدين والدفاع عن ممتلكاتهم بتحالف تشكل من بهيموند الثالث، وريموند الثالث، وكونت طرابلس، وقسطنطين، والأمير الأرميني ثوروس الثاني، ورينولد فاليري حاكم حارم[1] .

خرج الجيش الصليبي في شهر رمضان 559 هـ/ 1164م اتجاه الحصن ولما شهد نور الدين القوات الصليبية متوجهة نحوه والتي قدرت بحوالي ثلاثين ألفا ذهب لفك الحصار عن حارم وأعد خطة لاستدراج الأمراء المتحالفين ضده، وتوجه إلى أرتاح وفكر أنهم سوف يتبعوه وبذلك يتخلص منهم ويضمن ابتعادهم عن قواعده[2].

قرر بهيمون الثالث أن يتبع أثره، بينما رينولد سانت فاليري فكان مفكرا بأنه كمين أعده نور الدين، أما الأمير الأرميني ثوروس الثاني فنصح بعدم التدخل في أي معركة حتى يأتي الملك عموري الأول من مصر، لكن لم يأخذ القادة الصليبيون بهذه النصيحة فانسحب هو وأخوه من المعركة وهنا يتضح بأن القوات المتحالفة تفتقر إلى التنسيق رغم كثرها[3] .

ونتيجة لهذا الاختلاف بين الأطراف الصليبية المتحالفة هاجم بوهيموند الثالث القوات الإسلامية، وحدث هذا الهجوم بالضبط بالقرب من مدينة أرتاح، ولما قرر المسلمون الهروب تتبعهم بالإندفاع ورائهم لكن وجد نفسه في كمين أعد له، أما القوات البيزنطية فقد هجمتها جيوش الموصل بزعامة زين الدين علي كوجك، وقد دخلت باقي الفرق الإسلامية وأحاطت

---

[1] – طقوش، مرجع سابق، ص 333.

[2] – ابن الأثير، الكامل ، ج9، ص 468.

[3] – ابن الأثير، مصدر نفسه، ج9، ص 469.

بالقوات الصـليبية من كل جانب ودارت بينهما رحى الحرب وانتهت بهزيمة القوات الصـليبية بعدما قتل منهم عددا كبير بلغ حوالي عشـرة ألاف فارس وأسـر قسـطنطين كولومان وريموند الثالث أمير طرابلس، وجونسـن الثالث وهيولوزيان، أما نور الدين فسـار إلى أنطاكية وتملكها وفتحها بعد أيام من وقوع هذه المعركة.

ب. فتح بانياس :

بعد فتح نور الدين لحارم وجه أنظاره نحو بانياس وهي بالقرب من دمشـــق، وكانت تابعة لمملكة بيت المقدس من سـنة 543 هـ، وتعد من أمنع القلاع التي تحتمي بها المملكة من هجمات نور الدين[1] .

ومع حرص نور الدين في تخفيف الضـــغط على مصـــر قرر فتح بانياس مســـتغلا فرصـــة عدم التوازن القوي في المنطقة بحيث أن القوات التي كانت تدافع عن هذا الحصـــن كانت بدورها ترافق عموري الأول أثناء حملته على مصـر، وقد اسـتعمل نور الدين أسـلوب الحيلة بزعمه أنه ذاهب لمهاجمة طبرية فوقع الصـليبيون في هذه الخدعة وتجمعوا في طبرية لمواجهه نور الدين، وبذلك غير اتجاه إلى قلعة بانياس وحاصـــرها لكن حاميتها واصـــلت الدفاع، مما جعل نور الدين يشـدد الحصـار بقوة، فطلبوا المسـاعدة من كونت فلاندر لكنها تأخرت كون هذا الأخير متواجد في فلســطين أنذاك، فكان دخول نور الدين ســنة 559 هـ أكتوبر 1164م وقام بتزويدها بالمؤونة والذخيرة والرجال، وسيطر على المناطق المحيطة بها كما هدد بفتح الجليل إلا أن البارونات قرروا دفع الجزية[2].

ج. نتائج هجومات نور الدين على الصليبيين:

تمثلت نتائج الهجومات التي قام بها نور الدين ضد الصليبيين في:

- فقدان أنطاكية لأهم المواقع العسكرية التابعة لها ألا وهي حصن حارم .

[1] – طقوش، مرجع سابق، ص336.

[2] – ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 469.

- أسر أميرها بوهامون الثالث.
- أما بالنسبة لبيت المقدس فقد فقدت هي الأخرى حصن بانياس الذي يعد القاعدة الأمامية لها لحماية أملاكها من هجمات نور الدين.

4. نور الدين يطلق سراح بعض الأسرى:

أطلق نور الدين سراح الأمير البيزنطي قسطنطين كولومان مقابل فدية والتي قدرت بمائة وخمسين ثوبا من الحرير، ولقد أرجعت طائلة هذه الفدية إلى أن نور الدين لم يكن راغبا في الدخول في هجوم مع الإمبراطورية البيزنطية ويفتح جبهة أخرى أقوى من الجهة الصليبية فيشتت جهوده بين القوتين، كذلك قام الأمير ثوروس الثاني بإرسال بعض الهدايا إلى نور الدين بغية إطلاق سراح بعض الأسرى الأرمن، لكن نور الدين رفض طلبه مما أدى الأمر بثوروس الثاني في أن يهاجم مرعش فنهبها وأسر مجموعة من المسلمين مما اضطر الأمر بأن يتبادل الأسرى مع معه وأطلق سراح بعض الأسرى الصليبيين، وأثناء تواجد عموري الأول في أنطاكيا دخل في صراعات مع نور الدين من أجل إطلاق بوهامون الثالث وانتهت بالنجاح وأطلق نور الدين كذلك سراح صاحب أنطاكية السابق[1].

5. نور الدين يجدد الهجمات على الصليبيين :

لم يكتف نور الدين بالانتصارات التي حققها على الصليبيين بفتح حارم و بانياس، وقرر الهجوم على بعض الحصون والقلاع الواقعة في إمارة طرابلس ومملكة بيت المقدس[2]. فبين سنتي 1165 – 1166م قام بالهجوم على الحصون الواقعة شرق منحدرات لبنان وكلف شيركوه بالإغارة على منطقة الأردن، فأغار حصن في مغارة جنوب عمان[3] وأغار

[1] – طقوش، مرجع سابق، ص 338.

[2] – مرجع نفسه، ص 339.

[3] – ستيفن رانسيمان، مرجع سابق، ص 429.

كذلك على منطقة صيدا، وفتح قلعة مونين، وسيطر على جبل نيجا وتوغل في شمالي أملاك الصليبيين، وقد استغلوا ذلك في غياب عموري الأول الذي كان متواجد في أنطاكية أنذاك[1].

أما نور الدين فقد أغار على حصن نيطرة، وذلك بتنفيذ خطة عسكرية تتمثل في عدم إشعار الصليبيين بما يفعله من خلال امتناعه عن إعلان حالة التعبئة واتجاهه فجأة إلى الحصن بمجموعة من جيشه، فحاصر الحصن وضغط على أفراد حاميته الذين كانوا يدافعون عليه ليفتحه لكن الحامية التي كان داخل الحصن فشلت وأعياهم الصعود لأنهم كانوا غير مستعدين لهذه المفاجأة فاستسلموا ودخل نور الدين الحصن وفتحه وكان ذلك في سنة 561 هـ/ 1166م ، بعدها سار نور الدين ووصل هجماته على الأملاك الصليبية فأغار على قلعة أكاف في البرية وقام بتخريبها وفتح العريمة وحاصر حلبة وخربها وكذلك عرقة والرقة. [2]

وفي سنة 565 هـ أغار نور الدين على كورهم الواقعة بالشام ومن هناك سار إلى الكرك وحاصرها، وغزا الفرنج قرب مدينة عسقلان عام 566هـ وعاد إلى مصر فحاصر آيلة وفتحها وغزا عرقة وفتحها أيضا عام 567 هـ، واستولى على صافيتا وعريمة وعنوة ووصل طرابلس وهو يخرب ويحرق ويقتل ونتيجة الإرهاق الذي لحق بجنوده ووصول عموري الأول لبيت المقدس وتراجع إلى دمشق لكي لا يقع في أي مواجهة مع عموري[3].

6. الحملة النورية الثانية على مصر:

أ. طريق الحملة:

في شهر ربيع الأول عام 562هـ/ 1167م، جهز نور الدين قواته بما يحتاجه في حملته هاته وأرسلها نحو مصر، وكان على رأس هذه الحملة أسد الدين شيركوه وابن أخيه

[1] – طقوش، مرجع سابق، ص 340.

[2] – ابن الأثير، الكامل ، ج9، ص 481، ابن الأثير الباهر ، ص 131.

[3] – محمد كرد علي، خطط الشام، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 1433هـ/ 2012م، ج2 ،ص 46.

صلاح الدين الأيوبي وبعض الأمراء الذين يثق فيهم نور الدين[1] ووصل عدد القوات إلى ألفي فارس[2] وقام نور الدين بمرافقة الجيش إلى حدود إمارته خوفا من هجمات الصليبيين لهم[3].

وصلت الحملة إلى مصر وقد سارت في طريق مغاير خوفا من هجمات الصليبين المتواجدين في الكرك والشوبك، بالإضافة إلى العاصفة التي ضربت المنطقة وقضت على الكثير من الزاد ورجال نور الدين، لكن رغم ذلك واصلت القوات السير[4] وتسببت هذه العوامل في تأخر وصول جيش شيركوه إلى مصر فاستغل شاور الفرصة وراح يستنجد بعموري الأول ملك بيت المقدس في خطوة منه تؤكد بأنه على علم إذا دخل شيركوه هذه المرة إلى مصر فلن يغادرها أبدا حتى يقضي على الدولة الفاطمية ويحقق أهدافه، لذلك لم يتردد بالاتصال بملك بيت المقدس والتفاوض معه موضحا له أن نور الدين إذا ضم مصر فإنه يشكل خطرا كبيرا على مملكة بيت المقدس[5] .

لقد لقيت دعوة شاور هذه ترحيبا من طرف عموري رغبة منه في امتلاك مصر أولا وإبعاد الجيوش النورية عنها ثانيا خوفا من امتلاكها ، وكان عموري الأول أن ذاك في نابلس وقام بدعوة بارونات لعقد اجتماع بغرض النظر في الخطر المحدق التي سوف تتعرض له المملكة الصليبية إذا استولى نور الدين على مصر وعمل جاهدا على إقناع البارونات بتلبية هذه المساعدة، وبعد مناقشة طويلة وافق المجتمعون على إرسال حملة كاملة العدد لإنقاذ شاور بالإضافة إلى حامية تأمن حدود المملكة من هجمات نور الدين محمود أثناء غياب الملك[6] .

---

[1] – ابن الأثير ، الباهر، ص 132.

[2] – ابن الأثير، الباهر، ص 342.

[3] – طقوش، مرجع سابق، ص 131.

[4] – الشمري، مرجع سابق، ص 342.

[5] – طقوش، مرجع سابق، ص 342.

[6] – ابن واصل، مصدر سابق، ص 149.

تم الاتفاق على أن يلتزم كل فرد بعشـــر دخله[1]، وبينما شـــرع عموري الأول في إتمام الاستعدادات وصلت الأخبار بأن أسد الدين شيركوه يجتاز صحراء سيناء منا اضطر عموري الأول بأن يرسل الجيش وراء قوات شيركوه لعرقلة تقدمه لكن القوة تأخرت[2].

اما شيركوه وقواته فرغم العاصفة إلا أنهم واصلوا سيرهم في اتجاه الجنوب الغربي إلى أن وصلوا السويس في شهر ربيع الآخر أوائل شهر فيفري، ثم عبروا إلى الجيزة وعسكروا في الفسـطاط خمسـين يوما حسـب قول ابن قاضـي شـهبة "ونزل في الجيزة غربي مصـر على البحر، وتصـــرف في البلاد الغربية وأقاموا بها نيفا وخمســـين يوم تم عاد إلى بر مصـــر والقاهرة[3]."

7. المواجهات التي جرت بين شيركوه والقوتين الصليبيتين:

أ. معركة البابين:

وبعد عقد الإتفاقية التي جرت بين شـاور والقوات الصـليبية والتي تنص على إخراج شيركوه وقواته من مصر، سار شيركوه إلى الصعيد ونزل بمكان يعرف بالبابين بعد أن علم بكثافة الجيش الصـليب،[4] وبقي الطرفان كل منهما يراقب الآخر لمدة شـهرين دون حدوث أية صـراع بينهما، إلى أن اجتازت القوة المسـيحية النيل متجهة إلى جزيرة الوراق على الضـفة الغربية فاجأت وحدة من قوات أسد الدين شيركوه[5].

أدرك أسد الدين شيركوه وجيشه تفوق القوى الصليبية من حيث العدد، ومما زاد تخوفه وصـول قوات صـليبية جديدة من بيت المقدس مع كل من همفري وفيليب أمير طرابلس تدعم عموري الأول لمواصلة الحرب، فانسحب أسد الدين شيركوه متوجها الى الصعيد حتى وصل

[1] – طقوش، تاريخ الزنكيين، ، ص 343.

[2] – وليم الصوري، مصدر سابق، ص 895.

[3] – ابن قاضي شهبة ، مصدر سابق، ص 169.

[4] – الناصر، مرجع سابق، ص 200.

[5] – طقوش، مرجع سابق، ص 345.

عمل ولكن عموري الاول وصـــور قاموا باتباعه لمعرفه خطواته وتركه وراءهم قوه عســكرية لحماية مصر وكان على رأسها ابن شاور وهيو أبلين[1].

بعدها قرر شـــاور الدخول في هجوم لكن جل القادة الذين كانوا مع شـــيركوه قرروا مغادرة مصـــر والعودة إلى الشـــام تخوفا من الكم الهائل من الجيوش، لكن عزمه على الانتصار كان أقوى من أن يترك البلد ويغادر مستسلما ولقد تكلم أحد الأمراء يقال له شرف الدين بزغش مســـتهجنا بتراجع الأمراء عن المهمة التي وكلت إليهم بقوله: "من يخاف القتل والجراح فلا يخدم الملوك، بل يكون فلاحا أو في بيته مع النســاء، والله لأن عدتم إلى الملك العادل من غير غابة وبلا عذر تعتذرون به ليأخذن اقطاعتكم وليعودن بجميع ما أخذتموه منه إلى يومنا هذا، ويقول لكم أتأخذون أموال المســلمين وتفرون عن عدوهم وتســلمون هذه الديار المصرية تتصرف فيها الكفار" فجاء الرد من شيركوه في قوله "هذا رأيي وبه أعمل[2]."

اســـتعد شـــيركوه للقتال وقاموا بتعبئة الجيش واختار من يثق بهم فجعل الأثقال من الأسـلحة في القسـم الأخير وعلى رأسـهم صـلاح الدين وقال له ولمن معه من الجيوش "أن المصريين والفرنج يجعلون حملتهم على القلب، فإذا حملوا عليكم فلا تصدقوهم القتال لكي لا تهلكوا أنفسكم واندفعوا من بين أيديهم فإذا عادوا عنكم فارجعوا في أعقابهم[3]."

هنا تتبين لنا شـــجاعة الســـلطان وخبرته في القتال، أما في الجهة المقابلة فقد جعل شـــاور بعض من قواته، أما الفرنجة في الميمنة وفي الميســـرة جعل كل القوات المصـــرية المتبقية، أما شـيركوه فقد كان في القلب برفقة عموري الأول، وكان جيش شـيركوه يتألف من الفرسان الترك أما جيش شاور فتألف من الرجالة[4].

---

[1] – وليم الصوري، مصدر سابق، ص 908.

[2] – ابن الأثير، الباهر، ص 133.

[3] – الشمري، مرجع سابق، ص 134.

[4] – طقوش، ، مرجع سابق، ص 346.

وعند بداية المعركة تقابل الطرفان وكما تصور شيركوه اتجهت القوات الصليبية باتجاه القلب ظنا منهم أن شيركوه فيه فقتلهم صلاح الدين قتالا يسيرا،[1] ثم انهزموا بين أيديهم ليتبعه الصليبيين بقواتهم، وفي هذا الوقت خرج شيركوه ليدخل ساحة القتال ضد هذه القوات المتحالفة فتضعضعت صفوفهم ووضع السيف فيهم وكثر فيهم القتال والأسر، مما جعل عموري الأول يتراجع ويتوجه إلى القاهرة[2].

ب. حصار الأسكندرية:

بعد أن هزم شيركوه القوات الصليبية والمصرية في معركة البابين وكان على خطوة بأن يمتلك القاهرة لو إتبع القوات المتحالفة، قرر أسد الدين أن يغير المسار، فسار باتجاه الشمال الغربي على الضفة الغربية للنيل ليصل إلى "الفيوم"، ومنها إلى الإسكندرية، حيث راسله أهلها ليسلموه المدينة، بعد أن كرهوا من تصرفات شاور وتحالفه مع الفرنج، فجبى طرقها ووصل المدينة وحضي بالاستقبال من أهلها وفتحوا له الأبواب فدخلها يدون قتال[3] .

أما المصرين والفرنج فبعد الهزيمة التي تلقوها، عادوا إلى القاهرة و جمعوا صفوفهم ليواصلوا القتال ضد شيركوه كون هذا الأخير قد سيطر على الإسكندرية، فقرر المتحالفين السيطرة عليها ودخلوها في شهر شوال وساعدتهم السفن الصليبية في ذلك، ودام الحصار أكثر من أربعة أشهر[4]، لم يستسلم شيركوه وقام بتقسيم الجيش بينه وبين صلاح الدين وأخذ معه ألف جندي وعاد إلى الصعيد وكان ذلك في شهر شعبان، واجتاز على معسكر عموري الذي عضب من هذا التصرف و قرر ملاحقته، لكن شاور منعه ونصحه بأن إسترجاع الاسكندرية أهم من مطاردة شيركوه[5].

---

[1] – أنظر الملحق رقم 02، ص 116

[2] – ابن الأثير، الباهر، ص 133.

[3] – طقوش، ، مرجع سابق، ص 347.

[4] – الناصر، مرجع سابق، ص 200.

[5] – طقوش، مرجع نفسه، ص 348.

وبعد اشتداد الحصار على الإسكندرية من طرف الفرنج طلب صلاح الدين المساعدة من عمه، فاضطر شيركوه إلى العودة إلى بركة الجيش بهدف مهاجمتها وإمتلاكها ليقلل من الضغط على الإسكندرية، غير أن مقاومة هيو أبلين أفسدت الخطة وأدرك صعوبة إمتلاك مصر، فقرر شيركوه الدخول في مفاوضات مع الصليبيين للنظر في قضية مصر[1] .

هناك وجهات نظر مختلفة بين المؤرخين حول من بادر بالصلح، فمثلا نجد ابن الأثير يقول "فجاءته رسلهم يطلبون الصلح، وبذلوا له خمسين ألف دينار سوي ما أخذه من البلاد، فأجاب إلى ذلك وشرط على الفرنج ألا يقيموا بالبلاد ولا يمتلكوا منها قرية واحدة فأجابوا إلى ذلك واصطلحوا وعادوا إلى الشام[2]."أي أنه يقول أن الصليبيين هم من بادروا بالصلح.

أما بالنسبة لوليم الصوري نجده يقول: "لما وصل شيركوه إلى بابيليون وجد أن الملك قد أرسل هيج دي أبلين ليتولى حراسة القاهرة والجسر الذي بها، لذلك بعث في استخدام صاحب قيصرية الذي كان أسيرا عنده ودعاه إلى حديث ودي، وأفضى إليه في عقد الصلح"،[3] ومن هنا يتبين لنا أن وليم الصوري هو الصائب في وجهة نظره لأن شيركوه لا يمكنه الصمود في وجه قوات ضخمة متواجدة على أراضيها بالإضافة إلى أن هذه القوات محاصرة لقواته في الإسكندرية التي لم تستطيع المقاومة بسبب نقص المؤونة، أما القوات الصليبية فهي في سعة من أمرها بغض النظر عن ما يحدث في بلاد الشام وأصدق دليل على كلام وليم الصوري هي النتائج التي جاءت بعد الاتفاق بحيث لم يكن فيها أي شرط من الشروط التي ذكرها ابن الأثير، بل بقيت بعض القوات المتحالفة في القاهرة.

ج. **شروط الاتفاق:** بعد المفاوضات التي جرت بين الطرفين تم الاتفاق على:

- فك الحصار على مدينه الإسكندرية.

---

[1] – الشمري، مرجع سابق، ص 139.

[2] – ابن الأثير، الكامل ، ج9، ص 138,

[3] – وليم الصوري، مصدر سابق، 909.

- تبادل الأسرى.
- إطلاق سراح القوات النورية داخل الإسكندرية.
- وجوب خروج شيركوه وعسكره من مصر.
- عدم التعرض لهم في الطريق من قبل القوات الصليبية.[1]

وبعد الشروط المتبادلة المقررة لعقد الصلح وافق الجانبان النوري والصليبي على :

- أن تخرج القوات النورية و الصليبية من مصر.
- تبادل الأسرى.
- أن لا يعاقب شـــاور رعاياه في الإســـكندرية أو في غيرها من الأماكن الأخرى الذين أيدوا شيركوه[2] .

أما دوافع هذا الاتفاق فكل طرف لديه ســببه الخاص، فمثلا عموري الأول رحب بهذا الصـلح لأنه يحقق له الهدف الذي طالما دخل مصـر من أجله وهو طرد شـيركوه من مصـر وعودته إلى بلاد الشـــام من أجل التصـــدي لهجمات نور الدين أما أســد الدين فرأى أنه من الصعب امتلاك مصر لذا فعليه الاستسلام والرجوع بالقوات إلى بلاد الشام بينما شاور رحب بها كونها سمحت له أن يستقل بمصر[3] .

وبعد الموافقة على عقد الصـــلح غادر صـــلاح الدين برفقة قواته الإســـكندرية معلنا انتصارات كبيرة وكان ذلك في شهر ذي القعدة/ سبتمبر، وتزامن خروجهم مع دخول عموري في شـــهر شـــوال 4 أوت، وقد تبادل كل منهم الإعجاب بالآخر[4] لدرجة أن هذا الأخير أمده ببعض المراكب لينقل جرحاه إلى الشـــام[5]، وقد تأخر عموري بالدخول للقاهرة لأســـابيع ليثبت

---

[1] – أبو شامة، مصدر سابق، ص 428

[2] – ابن الأثير، الباهر، ص 134 .

[3] – طقوش، مرجع سابق، ص 350 .

[4] – الشمري، مرجع سابق، ص 142 .

[5] – عبد العظيم رمضان، تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001، ص 159.

الحماية الصليبية في القاهرة ويجدد الإتفاقية التي كانت بينه وبين شاور دون مشاورة العاضد ونصـــت هذه الإتفاقية على دفع الجزية الســـنوية التي قدرها مائة ألف دينار للصـــليبيين، بالإضـــافة إلى ترك جيش على أبواب القاهرة ترقبا لهجومات نور الدين مرة اخغرى وإقامة مندوب عن الملك الصليبي في مصر يتولى شؤون الدولة[1].

8. الحملة النورية الثالثة على مصر 564هـ

أ. الخليفة العاضد يستنجد بنور الدين:

وفي ظل هذه المحنة القاسية التي وصلت إليها الدولة الفاطمية أصبحت كل الأبواب مغلقة أمام الخليفة الفاطمي العاضد ولا يستطيع بوسعه فعل أي شيء سوى الاستنجاد بالقوة الشـامية في حلب والتي كانت تعد القوة الوحيدة التي تمنع الزحف الصـليبي يسـيطرتها على مصـر، والأمر الذي جعل الملك نور الدين يتحرك هي صـرخة الخليفة العاضـد بحيث أرسل إليه يستغيثه ويخبره بضعف المسلمين وعجزهم أمام القوة الصليبية[2].

وأرسل في الكتب شعور النساء وقال له: "هذه شعور نساء من قصري، يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج"[3] وقد تم الإتفاق بينهم على :

- منح نور الدين ثلث بلاد مصر.
- منح قادة نور الدين إقطاعات.
- يسمح لشيركوه الإقامة في مصر[4] .

---

[1] – طقوش، مرجع سابق، ص 351.

[2] – الشمري ،، مرجع سابق،ص 153. محمد الناصر، الجهاد والتجديد، مرجع سابق، ص 202. طقوش، مرجع سابق، ص 365.

[3] – محمد الناصر، مرجع نفسه، ص 202.

[4] – طقوش، مرجع سابق، ص 365.

ب. الملك نور الدين يوافق على استنجاد العاضد:

وافق نور الدين على الإستغاثة وشرع في تجهيز الجيش لإرساله إلى مصر وقام باستدعاء شاور الذي كان متواجد في مدينه حمص أنذاك مكلفة بمهمة القيادة وأعطاه مائتي ألف دينار سوى الثياب والدواب والأسلحة، وحكمه في العسكر والخزائن واختار ألفي فارس، وجمع شيركوه من التركمان ستة آلاف فارس وسار إلى باب دمشق ومن ثم إلى رأس الماء[1] .

انطلق أسد الدين شيركوه وكان خروجه في شهر ربيع الأول سنة 564هـ ديسمبر 1168م إلى مصر، ولما علم عموري الأول بوصول شيركوه وجيشه، جهاز خطة القضاء عليه فغير طريقه من القاهرة إلى فاقوس، وترك وراءه حامية عسكرية تحمي الطريق المؤدي الى القاهرة لكن خطته هذه فشلت بمجرد معرفة شيركوه بحيلة عموري فاتخذ الجهة الجنوبية لدخول قواته[2] ودخل القاهرة في السابع من ربيع الثاني 564هـ 8 جانفي 1168م دون أي مقاومة من المصريين الذين رأوا في حملة شيركوه هذه نجاة لهم من الفرج ومن حيل شاور[3] بينما الخليفة العاضد فقد استقبله بالتشاريف ووعده ببذل الأموال والمؤونة لعساكره، أما عموري الأول فقد رأى استحالة استيلائه على مصر فعاد خائبا للمملكته وذلك خشية مهاجمة شيركوه له وردود فعل أهل مصر[4].

ج. مقتل شاور

يبدو أن شاور أدرك ضياع مصر من يده فراح يحقد على شيركوه وأرسل يستدعي الفرنجة مره أخرى لمساعدته لاسترجاع ما ضاع منه وحدد لهم مدينة دمياط، لكن الصليبيين لم يلبوا طلب شاور، فقام باللجوء إلى أسلوب الحيلة ودبر مؤامرة لقتل شيركوه وذلك بدعوته إلى وليمة، لكن ابنه الكامل حذره بكشف حيلته لشيركوه، فوصل خبر ما فعله شاور من

[1] – محمد الناصر، مرجع سابق، ص 202.

[2] – طقوش، مرجع سابق، 366.

[3] – حسن حبشي، نور الدين والصليبيون، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948، ص 128.

[4] – طقوش، مرجع سابق، ص 367.

الإتصـــال بالفرنجة وبالمكيدة الذي كان عازم عليها إلى شـــيركوه لكن لم يتخذ أي إجراء اتجاهه، لكن صـــلاح الدين وعز الدين جورديك كان لهم رأي آخر وعزموا على قتل شـــاور واستغلوا فرصـة غياب شيركوه الذي كان في زيارة لقبر الإمام الشافعي وصادف ذلك مجيء شـــاور لزيارته وذلك عام 564هـ/ 1169م، وما أن علم بغياب شـــيركوه فقرر الذهاب إليه، لكن صلاح الدين وعز الدين انقضوا عليه وأنزلوه أسيرا ثم أصدر الخليفة أمرا بقتله[1] .

د. تولي شيركوه الوزارة:

دخل أسـد الدين القاهرة وتم تعيينه وزيرا على مصـر من قبل العاضـظ ولقبه بالملك المنصور وسلطان الجيوش[2] .

هـ. وفاة شيركوه:

لم تدم وزارة شـــيركوه طويلا حتى توفي في 22 من جمادى الأخرة من عام 564 هـ وذلك بعد خمسة وستين يوما من توليه الوزارة ليتم استخلافه إبن أخيه صلاح الدين[3] .

9. أعمال صلاح الدين ضد الصليبيين فترة وزارته:

بعد وفاة أسد الدين شيركوه أقر العاضد بوضع صلاح الدين مكانه نظرا لكونه أصغر سـنا من الأمراء وظنا منه بأن يكون أكثر طواعيه له، لكن الملك الناصـر خيب أمل الخليفة الفاطمي وشـرع في اسـتعمال قلوب الناس إليه بما بذله من الأموال والعطايا التي جمعها من عمه واســتطاع الســيطرة على الجند، وبتثبيت صـــلاح الدين تبدأ مرحلة أخرى من مراحل الجهاد ضد الصليبيين. [4]

[1] – حبشي، مرجع سابق، ص 129.

[2] – محمد حامد الناصر، مرجع سابق، 203.

[3] – أبو شامة ، مصدر سابق، ج1، ص 405.

[4] – محمد حامد الناصر، مرجع سابق، ص 205.

10. مؤامرة مؤتمن الخلافة ووقعة السودان على صلاح الدين:

نظرا للسياسة التي اتبعها صلاح الدين في تسيير شؤون الدولة الفاطمية والتي كانت نتيجتها إلغاء الخلافة الفاطمية، قام مماليك مصر بأخذ الإقطاعات واستمال إليه عامة الناس ببذل لهم الأموال مقابل ذلك نقص إقطاع المصريين، هذه الخطوات أثارت الطواشي مؤتمن الخلافة وبعض قادة الدولة الفاطمية لما فيه ضياع لملكهم وزوال الدولة الفاطمية، فرأى الطواشي أنه من الضروري القيام بمبادره لاسترجاع ملك مصر ويصبح هو وزيرا لها الذي كان طالما يحلم به بعد وفاة شاور، فاتصل بعموري الأول من أجل مساعدته في التخلص من صلاح الدين وطرده من الوزارة، لكن تفطن أحد أتباع صلاح الدين وهم عمارهدة اليمني وعبد الصمد الكاتب والقاضي العوريس وعبد الجبار بن اسماعيل وزين الدين بن نجا الذين ارتابهم الخوف وقاموا بتحذير صلاح الدين ومع إن تأكد هذا الأخير من تفاصيل هذه المؤامرة حتى قبض على زعمائها ثم قتلهم وصلبهم وقام بتغيير كل شيء في قصر الخليفة ونتيجة لمقتل مؤتمن الخلافة جوهر قام الجند السودانيين بثورة ضد صلاح الدين وحدثت المعركة التي انتهت بانتصار هذا الأخير ونفي باقي الجند إلى الصعيد[1].

11. التصدي للحملة الصليبية البيزنطية المشتركة لحصار دمياط :

بعد نجاح القوات النورية في فتح مصر أدرك الصليبيون خطورة وضعهم، فاضطر عموري الأول ملك بيت المقدس إلى الاستنجاد بملك بيزنطة لإرسال حملة صليبية لغزو مصر وأخذها من الملك نور الدين[2] ، وفي عام 564هـ/ 1169م، أرسل الملك عموري سفارة للغرب الأوروبي لكل من: "فريديريك بربروسا إمبراطور ألمانيا، وملك فرنسا لويس السابع، وهنري الثاني ملك إنجلترا، ووليم الثاني ملك صقلية[3]."

---

[1] – مرجع نفسه، ص 206 – 207.

[2] – ابن الأثير، الباهر، ص 143.

[3] – طقوش، مرجع سابق، ص 372.

كانت الأوضـاع السـياسـية في غربي أوروبا أنذاك لا تشـجع بسـبب النزاع القائم بين الإمبراطورية البابوية، مما اضـــطر الأمر بعموري الأول تجديدا الاتفاق مع الإمبراطورية البيزنطية طالبا النجدة من الإمبراطور مانويل وكان ذلك عام 1168م بهدف الاسـتيلاء على مصـــر، فوافق هذا الأخير لما له من الرغبة في غزو مصـــر وكان الاتفاق يدور حول دعم الأسطول البحري البيزنطي فوافق عموري على ذلك .

أ. الاستعدادات للحملة الصليبية البيزنطية:

وفي أواخر عام 564هـ/ 1169م ســارع الإمبراطور البيزنطي في تجهيز الحملة إلى مصـر المكونة من أسـطول بحري ضـم مائة وخمسـين سـفينة حربية وسـتون سـفينة كبيرة من أجل نقل الخيول، وحوالي عشرة أو عشرين سفينة من أجل نقل المؤونة والمدخرات الحربي[1] وقد قرر الإمبراطور حمل ما يكفي من المؤونة في هذه الحملة لمدة ثلاثة أشـــهر وخرج في منتصـــف شـــوال عام 564هـ/ 1169م، من مياه الدردنيل باتجاه قبرص وكان على رأس الأســطول الإمبراطور أندرو نيغوس- كونتو ســتيفانوس ومعه موريس وبعد وصــولهما إلى جزيرة قبرص أرســل قائده ســفينتين إلى ميناء عكا تحمل الأموال المتفق عليها على جيش عموري الأول لكن الأسطول ظل في الجزيرة حتى شهر سبتمبر دون أن يصل أي جديد من الصليبيين لاستكمال الحملة، ولقد تأخر عموري في الهجوم لمده ثلاث أيام ويعود السبب في ذلك إلى الضـرر الذي لحقه من الحملة الأولى لكنه اضـطر إلى اسـتدعاء الأسـطول المتواجد بقبرص للحضـــور إلى عكا وكان ذلك في شـــهر محرم 565هـ/ 1169م، ليتم اســـتكمال الإعدادات للحملة في منتصف شهر تشرين الأول لتبدأ من عسقلان نحو دمياط[2].

[1] – وليم الصوري، مرجع سابق، ج2، ص 940 – 941.

[2] – طقوش، مرجع سابق، ص 374.

ب. صلاح الدين يستعد للحملة:

استعد صلاح الدين لهذه الحملة وقام لإرسال قواته إلى مصر وعلى رأسهم شهاب الدين محمود وابن أخيه تقي الدين عمر[1] وكانت تجهيزاته قد امتدت في كل بلبيس والإسكندرية والقاهرة وقام بمجموعة من الاحترازات لتحصين مصر وحمايه نفسه، فقد قام بإلقاء القبض على حراس الخلافة الأرمن وأشعل النار في سكناتهم وقبض عليهم، لكي لا يتعرض لأي مواجهة داخلية أثناء الهجوم لكن صلاح الدين فوجئ بتغيير مسار الحملة التي اتجهت نحو دمياط،[2] فأخافه الأمر وأرسل شكوى إلى نور الدين يقول: "أن تأخرت عن دمياط ملكها الفرنج، وإن سرت إليها خلفني المصريون في أملها بالشر، وخرجوا عن طاعتي وساروا في أثري، والفرنج أمامي فلا يبقى لنا باقية[3]."

ج. حصار دمياط وفشل الحملة:

سار الجيش الصليبي من عسقلان عابرا طريق الفرما نحو دمياط في شهر صفر عام 565هـ أكتوبر 1169م أين كان الأسطول البيزنطي في انتظاره، وعسكرا القوات البرية في جهة الساحل، أما الأسطول فلم يتمكن من الدخول إلى الميناء بسبب السلاسل الحديدية وبالتالي لم تستطيع القوات الدخول إلى دمياط، ومن هنا تبدأ علامات الفشل تظهر على المتحالفين وعلى الحملة[4] .

بعد استغاثة صلاح الدين بنور الدين، جهز هذا الأخير العساكر وارسلهم إليه إرسالا فكلما تجهزت الطائفة أرسلهم فسارت الجيوش تتبع بعضها البعض كما قاموا بالهجوم على معاقل الصليبيين في بلاد الشام لكي يخف الضغط على مدينة دمياط، وبالرغم من التجهيزات التي قاموا بها الصليبيون إلا أنهم ارتكبوا خطأ عندما تريثوا في شن الهجوم على المدينة لمدة

---

[1] – محمد حامد الناصر، مرجع سابق، ص 207.

[2] – طقوش، ، مرجع سابق، ص 375.

[3] – محمد الناصر، مرجع سابق، ص 207.

[4] – أمينة بيطار، مرجع سابق، ص 89.

ثلاث أيام، وهذا أثر سلبا على الحملة مما جعل صلاح الدين يجهز المدينة جيدا ويزودها بالمؤونة والرجال ووسائل الحرب، بالإضافة إلى الخطأ الذي قام به الإمبراطور البيزنطي عندما أرسل المؤونة لما تكفي لمدة ثلاث أشهر فقط، فكل هذه الأسباب تدل على فشل الحملة. [1]

ونتيجه لذلك قام القائد البيزنطي باستدراك الوضع فأرسل لعموري الأول للقيام بهجوم، لكن هذا الأخير تأخر بالهجوم الفوري وأراد بناء أبراج لحماية المدينة وعدم مشاهدة ما يجري داخلها، أمام هذا لم تقف القوات الصليبية مكتوفة الايدي فقامت ببناء برج متحرك مماثل للبرج الصليبي ودعمه المسلمون بالعساكر لمقاومة الصليبيين [2].

مما زاد من الوضع سوء لدى الصليبيين أن هبت رياح شديدة مرفوقة بأمطار غزيرة، أغرقت معسكره الصليبيين وجعلته مستنقع من الأوحال[3] فاستغل المسلمون ذلك وأرسلوا سفينة نفاطة باتجاه الأسطول مما تسبب في خسائر فادحة فاضطر عموري الأول إلى التدخل لمنع هذا الضرر حيث حاول إيقاظ البحارة الذين عملوا على فصل السفن وإبعادها عن بعضها وبهذا فصلت القوات المتحالفة وأدركت استحالة تمكنهم من دمياط خاصة أن عموري كانت تأتيه الأخبار بما يفعله السلطان نور الدين من هجمات على بلاده فعقد الهدنة مع المسلمين ليستطيع العودة إلى الى بلاده سريعا، وعادت القوات المتحالفة إلى بلادها في 28 ربيع الأول 565هـ/ 1169م[4] بعد أن مكثت في دمياط أكثر من خمسين يوما[5].

[1] – ابن الأثير، الباهر، ص 143.

[2] – طقوش، مرجع سابق، ص 377 – 387.

[3] – محمد الناصر، مرجع سابق، ص 208.

[4] – ابن الأثير، الكامل، ج 09، ص 105 – 106.

[5] – محمد الناصر، مرجع سابق ، ص 208.

د. نتائج الحملة:

* ترتب عن هذه الحملة عدة نتائج أولها :

- ضياع مصر نهائيا من أيدي الصليبيين والبيزنطيين وتأكدهما بأن نور الدين أصبح يشكل خطرا على إمارتهم في الشام.
- اثبات صلاح الدين رسميا ملكه لمصر من خلال دوره الفعال في حماية مصر وأراضيها من غارات المعتدين وبذلك نال الإعجاب من جميع من فيها من قاده وعامة، بالإضافة إلى بداية النهاية الرسمية للدولة الفاطمية[1].

12. الملك نور الدين يرسل نجم الدين أيوب إلى مصر:

بعد الانتهاء من حصار دمياط أراد صلاح الدين تغيرات في السياسة على مصر، واختار أن يكون بجانبه أفراد أسرته وعشيرته لدعمه في خطوته هذه فطلب من نور أن يرسل له والده النجم الدين أيوب، فوافق نور الدين على طلبه وقام بإرسال نجم الدين أيوب ومعه فرقة كبيره من الجند والمماليك، ولأن نور الدين يعلم بأن هذه القافلة سوف تسير على أراضي الصليبيين أعد كمين وقام بإشغالهم لمنع إلحاق الأذى به وبمن معه، مسار برفقة جيشه إلى الكرك وحاصرها حتى اطمأن على اجتياز القافلة.

وعلى أثر هذا سمع الصليبيون بوجود نور الدين في المنطقة فخرجوا مسرعين للتصدي له، وكان على رأس القيادة همفري صاحب بانياس وفيليب بن الدقيق، وفور سماع نور الدين بأمر القوة فك الحصار عن حصن الكرك بعد أربع أيام من الحصار لأن هدفه كان عبور القافلة فقط[2] .

[1] – أمينة بيطار، مرجع سابق، ص 91.

[2] – طقوش، مرجع سابق، ص 383 – 384.

ولما علم نور الدين بوصول نجم الدين سالما إلى مصر ترك المنطقة وعاد إلى الى دمشق بعد التأكد من وصول القافلة في شهر جمادى الثانية 565هـ/ 1170م، أما العاضد فقد أكرمه بالترحيب وأقطعه دمياط والإسكندرية[1].

13. صلاح الدين ونور الدين يهاجمان أملاك الصليبيين:

في شهر ربيع الأول عام 565هـ/ 1169م خرج صلاح الدين من مصر لمهاجمة القلاع الصليبية الواقعة على الساحل الفلسطيني، فحاصر قلعة الداروم الواقعة جنوب غزة، كما قام بإرسال قوة عسكرية لمهاجمة معقل فرسان الداوية في غزة، ولأن ضربات صلاح الدين كانت قوية لدرجة أن الحامية الضخمة التي كان يصنفها عموري ضمن القلاع القوية المنيعة كادت تسقط بيد صلاح الدين فاضطر الملك الصليبي لقيادة جيشه والتوجه للتصدي لهجوم المسلمين، ولما علم صلاح الدين ترك الداروم وسار إلى غزة ونجح في فتح أسفل المدينة غير أن القلعة صدت في وجهه واضطر إلى الإنسحاب والعودة إلى مصر[2].

وفي سنة 566هـ سبتمبر 1170م استطاع صلاح الدين فتح خليج العقبة وبالضبط ميناء آيلة، فسقطت المدينة في يده واقتيد أفراد حاميتها إلى القاهرة، أما نور الدين فقد هاجم إمارة أنطاكية، بحجة أن الصليبيين استولوا على مركبتين إسلاميتين كان متوجهتين إلى مصر، وقام بمهاجمة إمارة طرابلس فحاصر حصن عرقة وخرب ريضة وفتح حصني العريمة وصافيتا[3].

[1] – ابن قاضي شهبة ، مصدر سابق، ص 187.

[2] – طقوش، مرجع سابق، ص 386.

[3] – ابن الأثير، الباهر، ص 154.

14. إلغاء الخلافة الفاطمية بمصر :

يعتبر إلغاء الخلافة العبيدية بمصر من أهم المهام التي أنجزتها صلاح الدين أيوب، وكانت بداية سقوطها منذ أن تم القضاء على شاور وتولي أسد الدين شيركوه الوزارة فيها، وقد تبين سقوطها رسميا بعد فشل الهجوم البيزنطي الصليبي على مصر .

أما على الصعيد الداخلي فقد نفذ صلاح الدين عدة إجراءات أدت إلى إضعاف الخلافة الفاطمية أولها إلغاء المذهب الشيعي الإسماعيلي من جهة ونش المذاهب السنية من جهة أخرى، فبدأ بعزل قضاة مصر من الشيعة والإسماعيلية، وقطع رواتبهم وضيع دعائهم وألفى مجالس الدعوة وحذف أصول مذهبهم، وقام بمسح عبارة "علي ولي الله" على العملة المتداولة بين الناس[1] وفي 10 من ذي الحجة 566هـ أبطل من الأذان "حي على خير العمل" وأمر بذكر أسماء الخلفاء الراشدين أثناء خطبة الجمعة وقام ببناء المدارس لتدريس المذهبين الشيعي والإسماعيلي في جميع أنحاء مصر[2] وأمر بتهديم دار المعونة بجانب الجامع العتيق وأعاد بناءها مدرسة خصصت للمذهب الشيعي ومكان دار الغزل شيد مدرسة للمالكية، وحول دار سعيد السعداء إلى خانقاه للصوفية وأمر بإطال مجالس الدعوة من القصر والجامع الأزهر[3].

وبعد الخطوة الأولى التي قام بها صلاح الدين تأتي الخطوة الثانية وهي الخطبة لبني العباسي، فقد كان نور الدين حريصا كل الحرص على قطعها وأمر صلاح الدين بقطع خطبة العلويين وإقامتها لبني العباس، فخاف هذا الأخير من قيام أهل مصر ضده وأخبره بأنه ليس متهيأ لذلك، لكن نور الدين أرسل إليه "يلزمه بذلك إلزاما لا فسحة فيه" ليقرر صلاح الدين إعلان الخطبة لبن العباس في أول جمعة من شهر محرم عام 567هـ وقد

---

[1] – أبوشامة، مرجع سابق، ص 388.

[2] – محمد الناصر، مرجع سابق، ص 211.

[3] – المقريزي، مصدر سابق، ص 319.

تزامن ذلك مع مرض الخليفة العاضـــد الذي توفي بعد إســـقاط خلافته بثلاثة أيام وبذلك تم إلغاء الخلافة رسميا[1].

[1] – محمد الناصر، مرجع سابق، ص 208 – 209.

الفصل الثالث :

دور نور الدين زنكي في توحيد بلاد الشام ومصر

المبحث الأول: توسع نفوذ نور الدين محمود في بلاد الشام

المبحث الثاني: نور الدين زنكي والسيطرة على مصر

المبحث الثالث: إعلان مشروع الوحدة بين الشام ومصر

المبحث الأول: توسع نور الدين محمود في الشام

حاول نور الدين محمود منذ توليه الأمور بعد وفاة والده عماد الدين زنكي أن يركز جهوده لقتال الصليبيين، وفي الوقت نفسه عمل على استمالة القوى الإسلامية المتعددة في شمال العراق والشام في محاولة منه لكسب ودّها من أجل تقوية الجبهة الإسلامية لتستطيع مواجهة العدو الصليبي.

أ. ضم حمص والموصل وبعض المدن

- **ضم الموصل سنة 1171 م:**

أقام نور الدين على حصار الموصل، فعزم من بها من الأمراء على مجاهرة فخر الدين عبد المسيح بالعصيان وتسليم البلد إلى نور الدين، فعلم فخر الدين بذلك وأرسل إلى نور الدين يفاوضه في تسليم البلد إليه على أن يبقيه تحت حكم سيف الدين، وعلى أن يمنحه الأمان لنفسه وماله، فأجابه إلى ذلك، وشرط عليه بالمقابل، أن يأخذه معه إلى الشام، وأن يعطيه عنده إقطاعا يرضيه.[1]

أصبحت الموصل فعام 566هـ/1171م تابعة لنور الدين بعد وفاة أخيه قطب الدين فتوحدت بذلك جبهات دمشق وحلب والموصل لمواجهة الصليبيين، هذا من جهة، وجهة ثانية أخذت سلطة السلطان السلجوقي وقدرته على التدخل في المنطقة تتقلصان باستمرار، وتحول نور الدين إلى حاكم مستقل أكثر من حكام الولايات الأخرى كما أن اقتطاع نور الدين لأجزاء من ممتلكات الفرنجة ساهم في سوء الأحوال العسكرية، ذلك لأن خسارة الأرض تعني حرمان الحاكم من الخدمات العسكرية المفروضة على أتباعه في تلك الأرض، فكان لابد من إيجاد مصادر إقطاعية إضافية للمحافظة على قوة المؤسسة العسكرية الصليبية، وأهمها المرتزقة والأخويات الرهبانية (الداوية والاستبارية) إلا أن استخدام كلاً منهما كان يحمل مخاطر إضافية للحكام الصليبيين، فاستخدام المرتزقة يتطلب مزيدًا من الموارد الإضافية، أما

[1] – بسام العسلي، مشاهير الخلفاء والأمراء– نور الدين القائد، ط 2، دار النفائس، بيروت، 1988م، ص 118.

الاستنجاد بالداوية والاسبتارية فكان سيضع هؤلاء الحكام الصليبيين أمام تحدي كبير وهو السيطرة على هذين التنظيمين[1].

- **ضم حمص:**

أظهر نور الدين الاحترام لأخيه سيف الدين غازي حاكم الموصل بل أنه حاول استمالة حكّام دمشق بهدف تهدئة النفوس ولمّ الشمل وترتب على هذه الجهود توقيع اتفاقية صلح بين نور الدين من ناحية ومعين الدين أنر، 37 حاكم دمشق من ناحية أخرى[2].

هذا وقد تمّ توقيع هذه الاتفاقية في دمشق في 541هـ/1147م لكي يؤكد نور الدين من خلال هذا الاتفاق إظهار حسن النيات فإنه قام بالزواج من ابنة معين الدين أنر لأن هدفه كان جمع كلمة المسلمين من أجل الجهاد ولم يدرك الصليبيون خطر هذا التقارب حتى تلك اللحظة[3]، ولهذا فإن أول عمل قام به نور الدين محمود اتجاه هذه الإمارات الإسلامية في الشام مساندته لحاكم دمشق في حوران[4]، وقد أدى هذا التضامن الإسلامي دوراً في ازدياد نفوذ نور الدين بالشام إذ أدت الحملة الصليبية الثانية إلى انشقاق الغرب الأوربي على نفسه[5].

وقد زاد نفوذ نور الدين محمود في بلاد الشام ما قاد إلى طموحه في الاستيلاء على حمص لأن أخاه سيف الدين غازي أتابك الموصل توفي فنشب صراع قصير حول تركته بين

---

[1] – محمد سهيل طقوش، حروب الفرنجة في المشرق، دار النفائس، ط1، 2011 م، ص 121.

[2] – حسن حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1964م، ص233، أبو شامة، مصدر سابق، ج 2، ص202.

[3] – ابن القلانسي، مصدر سابق، ص279 .

[4] – حوران، المنطقة الجنوبية من سوريا والتي تمتد إلى شمال الأردن، وقد قامت عليها الكثير من الحضارات منذ القدم، المطوي، محمد العروسي، مرجع سابق، ص 15.

[5]– طقوش، مرجع سابق،ص 304.

أخويه نور الدين حاكم حلب وقطب الدين[1] حاكم الموصل، وكان سبب هذا الصراع هي مدنية سنجار[2] التي انتهى أمرها بأن يأخذ قطب الدين مودود سنجار مقابل تنازله لنور الدين محمود عن حمص[3].

- **ضم شيزر وبعلبك وحران وحارم وبانياس وقلعة جعبر:**

كان الإفرنج قد استولوا على عسقلان سنة 548هـ وكانت بيد الفاطميين، ولم يجد نور الدين سبيلا إلى إنجادها لحيلولة دمشق بينه وبينها وكان صاحبها يومئذ مجير الدين أبق والذي رضي دفع الجزية للصليبيين، فخشي نور الدين عليها من الإفرنج، فلاطف في البداية مجير الدين حتى توثقت المودة بينهما فصار يداخله في أهل دولته ويرميهم عنده بحجة أنهم كاتبوه فيوقع الآخر (مجير الدين) بهم حتى هدم أركان دولته ولم يبق من أمرائه إلا الخادم عطاء بن حفاظ وكان هو القائم بدولته فغص به نور الدين وحال بينه وبين دمشق فأغرى به صاحبه مجير الدين حتى نكبه وقتله، وخلت دمشق من الحامية فاتجه حينئذ نور الدين إليها مجاهرا بعداوة مجير الدين. واستنجد بالإفرنج مقابل أن يعطيهم الأموال ويسلم لهم بعلبك فجمعوا واحتشدوا، وأثناء ذلك عمد نور الدين إلى دمشق سنة 549 هـ وكاتب جماعة من أحداثها فلما وصل ثاروا بمجير الدين فلجأ إلى القلعة، وملك نور الدين المدينة وحاصره بالقلعة وبذل له مدينة حمص، فسار إليها مجير الدين وحاز نور الدين القلعة ثم عوضه عن حمص ببالس فلم يرضها ولحق ببغداد وأقام بها إلى أن توفي[4].

ولما فرغ نور الدين من أمر دمشق بعث إليه الإفرنج الذين في تل باشر في شمالي

---

[1] – قطب الدين مودود، هو بن عماد الدين زنكي بن أق سنقر المعروف بالأعرج صاحب الموصل، تولى السلطة بعد وفاة أخيه سيف الدين غازي الأول، كان حسن السيرة عادلاً في حكمه وفي دولته. أنظر :أبو شامة، مصدر سابق، ج1، ص289.

[2] – سنجار، مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة الفراتية، بينها وبين الموصل مسافة ثلاثة أيام، تقع على سفح جبل عال. أنظر : ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص262.

[3] – محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص310.

[4] – بسام العسلي، مرجع سابق، ص 116.

حلب واستأمنوا إليه ومكنوه من حصنهم فتسلمه حسان المنبجي من كبراء أمراء نور الدين سنة 549 هـ، ثم سار سنة551 هـ إلى قلعة بهرام وهي تابعة لأمير إنطاكية، فحاصرها واجتمع الإفرنج لمدافعته ثم صالحوه على نصف أعمال حارم فقبل صلحهم ورحل. كما ضم نور الدين شيزر ورمم أسوارها وجدد عمارتها.[1]

- **ضم بعلبك:**

نتيجة للمشكلات التي برزت في بلاد الشام في تلك المرحلة والمتمثلة في التفكك والانشقاقات بين قادة الإمارات الإسلامية فقد كان لزاماً على نور الدين محمود التصدي لهذا الوضع بغرض توحيد الجبهة الإسلامية تحت حكمه وسيطرته في خطوة أولى يتفرغ من بعدها لمواجهة الخطر الصليبي بالمنطقة، وقد بدأت أولى المشكلات التي واجهت نور الدين محمود في جنوب حلب فقد أسرع معين الدين أنر بإرسال قواته من دمشق واحتل مدينة بعلبك التي كانت تحت حكم نجم الدين أيوب[2] نائباً عن عماد الدين زنكي كما تمكنت قوات دمشق من إخضاع حمص وحماه في الشرق وبهذا استرد الأراتقة[3] 46 المدن والبلاد التي أخذها منهم عماد الدين في نواحي ديار بكر ومن بعد ذلك بدأت تتوالي نتائج تلك الانقسامات والتي حتمت على نور الدين مواجهتها [4].

فقد ألحق بعلبك بحكمه سنة 552 هـ، بعد أن استنزل صاحبها الضحاك البقاعي عنها، ودخل حران لكنه سلمها إلى زين الدين علي كجك نائب أخيه قطب الدين بالموصل وسار إلى الرقة فحاصرها، ولما افتتح نور الدين قلعة حارم أذن لعسكر الموصل وحصن

---

[1] – أنظر الملحق رقم 03، ص 117.

[2] – نجم الدين أيوب، أبو الشكر نجم الدين أيوب شادي الملقب بالأفضل نجم الدين ولد سنة 1173م، كان من الأكراد، سياسي وعسكري مسلم من أهل مدينة دوين في أرمينيا والد صلاح الدين الأيوبي تولى قلعة تكريت، ثم مدينة بعلبك. أنظر : محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 311.

[3] – الأراتقة، هم من نسل ارتق التركماني وهو من قبائل الأتراك أيضاً، وكان من القواد السياسيين البارزين لمك شاه السلطان السلجوقي العظيم. أنظر :راغب السرجاني، مرجع سابق، ص225.

[4] – فايد حماد محمد عاشور، مرجع سابق، ص 211.

كيفا بالانطلاق إلى بلادهم وعزم على منازلة بانياس وكانت بيد الإفرنج منذ سنة 543 هـ، فحاصرها وضيق عليها في ذي الحجة من سنة559 هـ، وكان معه أخوه نصير الدين وأخذ الإفرنج في الجمع لصده فلم يستكملوا أمرهم حتى فتحها وشحن قلعتها بالجند والسلاح. وخافه الإفرنج فقاسموه في أعمال طبرية وضرب عليهم الجزية في الباقي ووصل الخبر بفتح حارم وبانياس إلى ملوكهم الذين ساروا إلى مصر فسبقهم بالفتح وعاد إلى دمشق. ثم سار سنة 561 هـ إلى حصن المنيطرة فناجزهم ودخله عنوة[1].

يتضح مما سبق الرؤية الواضحة التي كان يرمي نور الدين محمود لتحقيقها والذي يبدو جلياً في الخطوات المرتبة له من خلال التوجه صوب الإمارات المحيطة بعد الفراغ من الاتفاق مع إخوته ممن يديرون المدن من حوله في محاولة منه للاتفاق معها أو على الأقل تحييدها حتى يكون آمناً من قبل من يحكمونها، ولهذا كان مدركاً لموقع إمارة دمشق المؤثر في كل مجريات الأحداث ببلاد الشام فسعى للتصالح من حاكمها بل أنه قد أدرك بحكمته الدور الذي يمكن أن تؤديه علاقات التصاهر بين قيادات بلاد الشام لذا كلّ هذا المسعى بمصاهرة معين الدين أنر عسى أن تقود هذه المصاهرة لتقوية روابط الاتحاد بين إمارات بلاد الشام.

ب. فتح مدينة دمشق

- **المحاولة الأولى:**

بدأ تدخل نور الدين في دمشق عندما طلب منه حاكم دمشق مجير الدين[2] أن يقدم له مساعدة حربية قدرها ألف من الفرسان لمساعدته في قتال الصليبيين، وكان من الطبيعي أن يحرص نور الدين على تقديم تلك المساعدة العسكرية لتكون مسوغاً له للتدخل السياسي في شأن إمارة دمشق وكل ذلك بغرض تدعيم أركان دولته وتوطيد حكمه[3].

---

[1] – بسام العسلي، مرجع سابق، ص 116 – 117.

[2] – محمد مؤنس عوض، مرجع سابق، ص 14.

[3] – محمود محمد الحويرى، بناء الجبهة الإسلامية المتحدة، دار المعارف، الطبعة الأولي، 1992 م، ص 108

رأى نور الدين محمود أنه لابد من ضـــم دمشـــق إلى حلب حتى يزيح العقبة التي تعترض توحيد الجبهة الإســلامية ببلاد الشــام، هذا في الوقت الذي كان يدرك فيه تماماً أنه من الصـعب عليه مواصـلة الجهاد ضـد الصـليبيين طالما بقيت دمشـق في أيدي حكام لا هم لهم إلا الحرص على مصـــالحهم الخاصـــة دون الالتفات للوضـــع الذي تعاني منه الأمة الإسلامية من تشتت وتشرذم[1].

وفي الوقت الذي كان مسير أعمال دمشق معين الدين أنر الذي يتمتع بشخصية قوية في دمشـق وصـاحب السـلطة العليا فيها ويقوم بتوجيه سـياسـة الأتابك مجير الدين أبق الذي كان لا يزال صـــغير الســـن وبالرغم من التحالف الذي بينه وبين نور الدين إلا أنه أبقى على تحالفه مع الصـليبيين أيضـا من أجل المحافظة على ميزان القوى إذ كان هدفه الاسـتفادة من الجانبين عند الضرورة خاصة وأنه كان يخشى من دولة آل زنكي على نفسه أكثر من خشيته من الصليبيين[2].

وعندما علم نور الدين محمود بأمر الاتفاق الذي حدث ما بين دمشـــق وبيت المقدس أدرك مدى خطورة هذا التحالف على موقفه لأنه كان ضـــد تطلعاته الرامية لتوحيد المنطقة ونتيجة لذلك عزم نور الدين على التدخل الفوري بغرض ضـم دمشـق لسـلطته وقطع الطريق إلى بيت المقدس[3].

ولكل ما ســبق فقد عمد نور الدين محمود إلى إيجاد المســوغ لصــراعه المرتقب مع دمشــق فوجد في الأوضــاع الاقتصــادية والاجتماعية المتدهورة بســبب غارات الصــليبيين المتكررة على المنطقة فاســتغل نور الدين فرصــة توغل قوة صــليبية من بيت المقدس في

---

[1] – محمود محمد الحويري، بناء الجبهة الإسلامية المتحدة، مرجع سابق، ص112.

[2] – محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 348.

[3] – حوران، هي المنطقة الجنوبية من سوريا والتي تمتد جغرافياً إلى شمال الأردن، وقد قامت عليها الكثير من الحضارات منذ القدم، محمد العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، (د. م. ن)، 1982 م، ص 15.

أراضـي حوران[1] في عام 544 هـ/ 1149 م ليكون الدافع الذي من خلاله يتدخل في شـؤون المنطقة [2].

وقد بذل نور الدين جهدا مقدرا من أجل السيطرة على دمشق وكان من ذلك لجوء نور الدين إلى أسـلوب الحلية والاسـتمالة فأخذ يلاطف مجير الدين أبق ويواصـله بالهدايا وأظهر مودته له حتى وثق مجير الدين به، أيضـاً محاولة إبعاد بعض الأمراء التابعين لمجير الدين حتى يصبح وحيداً في دمشق[3].

- **المحاولة الثانية:**

لم يكد نور الدين محمود ينتهي من تصـفية إمارة الرها حتى التفت مجدداً نحو دمشـق للقضـاء على البيت المتحالف مع الصـليبيين فزحف مرة أخرى إليها في 546 هـ/ 1151 م، وحاصـرها ونتيجة لهذا الحصـار فقد ارتفعت أسـعار الغلال واضـطربت الأمور فأرسـل نور الدين رسالة إلى مجير الدين يخبره بأن غايته من حصـار المدينة إصـلاح أوضـاع المسلمين وجهاد المشركين وتحرير أسرى المسلمين منهم وطلب منه تقديم المساعدة بهذا الخصـوص، وظل نور الدين يعمل في سـبيل دخول دمشـق دون قتال ولكنه انسـحب منها في آخر الأمر لأسباب عدة منها[4]:

1. هطول أمطار غزير في ذلك الوقت أعاقت العمليات العسكرية.
2. الخشية من سفك دماء المسلمين إن قام باقتحام المدينة حرباً.
3. اكتفى نور الدين بما عرضه عليه مجير الدين أبق من التنازلات التي من شأنها أن تكون أقرب للاعتراف بالوجود والدور الفعلي للدولة النورية السياسي والعسكري في المنطقة وبالتالي اقتنع نور الدين بأنه قد ضمن دمشق التي باتت في قبضته.

---

[1] – طقوش، مرجع نفسه، ص 349.

[2] – محمد مؤنس عوض، مرجع سابق، ص 113.

[3] – محمد مؤنس عوض، مرجع سابق، ص 113

[4] – محمد سهيل طقوش ، مرجع سابق، ص 315.

- **المحاولة الثالثة: القضـــاء على الدولة البورية على يد نور الدين محمود بن زنكي (549 / 1154)**

بعد فشل نور الدين في إسقاط دمشق اتجه إلى سياسة الحصار الاقتصادي، فمنع وصول الغلال إليها من حلب والمناطق الشمالية، كما حاول التحالف مع بعض أعيان الأسر الدمشقية الذين كان لهم دور ونفوذ واسع على عامة أهل المدينة وقد أدت هذه الأسر دوراً مؤثراً في المجال السياسي فلا شك أن هذه التحالف الذي حدث بينهم وبين نور الدين قد حسم معركة دمشق لصالحه[1].

لجأ مجير الدين آبق آخر أتابكة الدولة البورية في دمشق، للتحالف مع مملكة بيت المقدس اللاتينية حيث كان يدفع لها أتاوة سنوية. فقضى نور الدين على هذا التحالف وعلى الدولة البورية معاً، فأرسل حملة بقيادة أسد الدين شيركوه سنة 549 / 1154، ثم لحق به، ليدخلا دمشق. في حين تراجع الفرنج عن نجدة مجير الدين آبق، بعدما أيقنوا من انتصار نور الدين محمود والقضاء على الدولة البورية في دمشق[2].

استطاع نور الدين محمود في سنة 559 / 1164، أن يدخل حارم بعد إنزال الهزيمة بريموند صاحب طرابلس، ومعه بوهمند الثالث أمير أنطاكية الذي وقع أسيراً ثم أطلق سراحه مقابل فدية مالية كبيرة وإطلاق الأسرى المسلمين، كما تمكن نور الدين من فتح بانياس، وبذلك تمت له وحدة بلاد الشام، ولم يعد أمامه سوى أن ينزل الهزيمة بمملكة بيت المقدس، وهذا لا يتم إلا بوحدة مصر وبلاد الشام، ولم يكن انسحاب نور الدين نهائياً بل كان ينتظر الفرصة السانحة وقد وجدها بعد ثلاث سنوات من هجومه السابق على المدينة، ولكن في هذه السانحة قد اتخذ نور الدين جميع الاحتياطات اللازمة لإسقاط هذه المدينة والتي على رأسها

[1] – محمد مؤنس عوض، مرجع سابق، ص 114.

[2] – ابن القلانسي، مصدر سابق، ص 328، ابن الأثير، الباهر ، ص 107، ابن واصل، مصدر سابق، ج 1، ص 128.

تحطيم الدولة البورية[1]، من الداخل، كما بدأ في استغلال قضية تخاذل البوريين أمام الصليبيين وتساهلهم مع أسراهم، ودفعهم لأموال الأهالي لأعدائهم مع تعرض دمشق نفسها لمخاطرهم ووقوف حكامها سداً في وجه تأديب الصليبيين، لذلك تمكن نور الدين من إثارة أهالي مدينة دمشق ضد حكامها من البوريين[2].

وباستيلاء نور الدين على دمشق أستطاع أن يؤمن مناطق جنوب خط الموصل – حلب، فقد كان يريد من دمشق أن تكون قاعدة أمامية لعملياته العسكرية اتجاه مملكة بيت المقدس، ومركزا لانطلاق جيوشه نحو مصر، ثم أخيرا مقرا لقيادته، وهذا العمل أجبر بلدوين الثالث ملك بيت المقدس للبحث عن جهة أخرى للتوسع في المستقبل في الجنوب –مصر– لأن قواته لم تكن على قدم المساواة مع الأتراك في الشمال[3].

كانت دمشق عقدة الطرق لذلك فالتجارة بين الشرق والغرب كانت تخرج منها أو من حلب، وتأتيها القوافل من الشرق عبر تدمر، ثم من دمشق إلى بيروت أو إلى ما وراء الأردن إلى مكة من خلال الطريق الوحيد الذي يقطع هضبة حوران والذي يتفرع منه طريق مصر، ونظرا لتحكم دمشق في هذه الطرق ولأهميتها الحربية أضحت تتحكم في سياسة الظهير الشامي كله[4].

كانت دمشق وإقليمها محميان جيدا مما يعطي امتيازات إستراتيجية للمسيطر عليهما، حيث تتكون حدود طبيعية في أقصى الجنوب بفضل سلسلة جبال لبنان فيما بين المنطقة الساحلية التي يحتلها الصليبيون وسهل البقاع الذي يرتبط ببعلبك، كما أن جبال لبنان

---

[1] – الدولة البورية، هم فرع من الدولة السلجوقية، لأن مؤسسها تتش بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل، وهي الأسر السنية التي قامت في سوريا، وعاصمة ملكهم دمشق، واستمر حتى قضي عليها نور الدين محمود الأعظمي. أنظر: ابن القلانسي، مصدر سابق، ص49.

[2] – أمينة بيطار، مرجع سابق، ص67– 59.

[3] – عزيز سوريال عطية، العلاقات بين الشرق والغرب (تجارية– ثقافية– صليبية)، تر: فيليب صابر سيف، دار الثقافة، ط2، القاهرة، 1972، ص 60.

[4]– أرنست باركر، الحروب الصليبية، تر: الباز العربية، دار النهضة العربي، ط2، بيروت، (د.ت)، ص 50.

الشـرقية تحمي دمشـق من جهة الغرب مع غابات جبل حرمون، أما تخومها مع مملكة بيت المقدس فقد كانت محصـورة بنهر الأردن، حيث تقوم قلعتي الصـليبية وبانياس بمراقبة ومنع المرور في الشـمال من بحيرة الحولة، وتنتهي في الجنوب عند وادي نهر اليرموك بمنطقتين قويتين بُصرى وصلخد تحميان دمشق على حافة الصحراء من بلاد الحجاز[1]، كما أن دمشق خلال فترة الحروب الصليبية قوية ومحصنة لأن الجبال مهمة من الناحية الإستراتيجية، فإن استطاعت القوات المعادية الولوج إلى الغوطة، فإنها لا تستطيع مقاومة الأحداث وهم الرجال الأقوياء الذين كانوا يقومون بحماية تلك المناطق؛ كما شـحنت من دمشـق التوابل والحرير والعقاقير والأحجار الكريمة والجواهر وأدوات الترف، كما كانت بها مصانع السجاد والأقمشة الحريرية، وقد فاقت شـهرة الملابس الحريرية والصـوفية الدمشـقية الحدود، كما كانت بها صناعة الذهب والفضة، وكذا إنتاج النحاس والخشب[2].

ولأن دمشـق مدينة تجارية فقد كانت تهمها سـلامة الموانئ الشـامية من حيث تخرج تجارتها إلى أوروبا، وكان حكام دمشق لا يفضلون أن يستولي الصليبيون على تلك المناطق سـواء في الغرب أو الجنوب الغربي، لذلك شـاركوا الفاطميين في مقاومة الوجود الصـليبي، حيث كان الفاطميون يوجهون حملات بحرية، بينما كان دور دمشـق هو الإغارة من الظهير على إقليم حوران أو المناطق شرقي الموانئ الشمالية، وهكذا باستيلاء نور الدين على دمشق تكون أملاكه التي تمتد تحت زعامة واحدة من الرها شمالا إلى إقليم حوران جنوبا، أصـبحت توازي الحد الشـرقي لممتلكات الفرنجة الممتدة عبر السـاحل الشـامي من اللاذقية شـمالا إلى غزة جنوبا تحت إمرة زعامات مختلفة[3].

---

[1] – انظر الملحق رقم 04، ص 118

[2] – محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 1995، ص 26.

[3]– حسن محمد عطية، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (1171– 1268م/568– 666هـ)، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية، 1989، ص 104.

المبحث الثاني: نور الدين زنكي ومشروع السيطرة على مصر

أ. الحملة الأولى على مصر:

بات واضحا ان الخلافة الفاطمية في مصر أصبحت في حالة ضعف واحتضار ، بعدما أصبحت السلطة تدار من قبل وزرائها، وكان أشهرهم الوزيران شاور وضرغام، اللذان تنافسا على منصب رئيس وزراء مصر، حيث شهدت هذه الفترة مواجهات حادة بين الوزير أبو شجاع شاور بن مجير بن نزار بن عشائر السعدي (564هـ/1169م) وزير العاضد لدين الله العبيدي صاحب مصر ووالي الصعيد، والأمير الضرغام بن سوار بن ثعلبة، حيث توجه ضرغام على رأس جيشه لقتاله بعد تسعة أشهر من توليه الوزارة بدعم من الصليبيين، وتمكن من الانتصار عليه وعزله، فهرب شاور الى بلاد الشام قاصد نور الدين محمود بن زنكي ملتجئا إليه مستجيرا به كان ذلك سنة (558هـ/1163م)، فاجتمع به، وأكرمه، ووعده بالنصر[1].

أرسل السلطان نور الدين محمود بن زنكي وحدات من الجيش الى مصر لمساندة ودعم شاور مقابل حصوله على امتيازات للدولة الزنكية في البلاد المصرية، ومن اهم أسباب قبول نورالدين زنكي عرض شاور هو طمعه بضم مصر الى مشروعه في توحيد بلاد الشام[2]. وذلك لما تكسبه مصر من ميزات من بينها نهر النيل والكثافة السكانية المرتفعة ورغبته في السيطرة على خطوط التجارة العالمية المارة بمصر[3]، بالإضافة الى العامل المذهبي حيث كان الخليفة العباسي ونور الدين لهما هدف واحد وهو القضاء على المذهب الشيعي وخلافته في مصر ونشر المذهب السني[4].

---

[1] – الحريري سيد علي، الأخبار السنية في الحروب الصليبية، الزهراء للإعلام العربي، ط3، مصر، 1985، ص 118، محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 73

[2] – مسفر بن سالم عيج الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية، ص 299–300

[3] – محمد مؤنس عوض، مرجع سابق، ص 77.

[4]– أرنست باركر، مرجع سابق، ص 79.

مسيرة الحملة إلى مصر:

كلف السلطان نور الدين محمود القائد أسد الدين شيركوه بقيادة الحملة الى مصرسنة(559هـ/1164م) [1]، فخرج شيركوه ومعه شاور وقد اصطحب معه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب الذي كان يترأس مقدمة جيشه وحاملا لرايته وكان يشاوره في كل قراراته[2]، ولقد خرج معهم الملك العادل في بداية الحملة قاصدا بلاد الفرنجة من اجل ضمان عدم التعرض لجيش اسد الدين ليواصل القائد مسيره الى ديار مصر لوحده[3]. طلب نور الدين من شيركوه ان يذهب إلى مصر ويعيد شاور إلى منصبه، وعندما علم ضرغام بذلك طلب المساعدة من عموري الأول ملك بيت المقدس مقابل ان تصبح مصر تابعة للصليبيين والخضوع التام لمملكة بيت المقدس الصليبية واجبر الخليفة الفاطمي العاضد على توقيع هذا الاتفاق[4] ، وكان من الطبيعي ان يقبل الملك عموري بهاذا العرض الذي يعد الفرصة التي انتظرها الصليبين منذ نصف قرن لدخول مصر[5].

أما العوام في مصر خشية على ارواحهم وممتلكاتهم أصبحوا في ديارهم جاثمين[6]. كلف ضرغام اخاه ناصر الدين بالخروج بعكسر المصريين لمواجهة اسد الدين شيركوه لكنه انهزم فانقسم جيشه لفئتين، المخلصة قام اسد الدين باسرها والمتبقية استسلمت وأعلنت ولاءها له فضمها لجيشه[7].

في حين عمل ضرغام على تهجير وجمع شعبه داخل القاهرة وخرج بجيشه لمواجهة أسد الدين في منطقة المقس[8]، لكنه انهزم هزيمة شنعاء التي أدت الى فقدانه لهيبته وتخلى

---

[1] – أسامة حسن: الناصر صلاح الدين، دار الأمل، ط1، مصر، 1997، ص20.

[2] – محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 468.

[3] – ابن اثير، الكامل ، ج9 ، ص 468.

[4] – محمود محمد الحويري، مرجع سابق، ص 119

[5] – محمد سهيل طقوش، ، مرجع سابق، ص 380

[6] – السيد علي الحريري، مرجع سابق، ص 119

[7] – ابن الأثير، الكامل ، ج9 ، ص 468

[8] – **المقس:** هو مكان بين القاهرة والنيل كان يسمى قبل الإسلام بأم دنين، ياقوة الحمور: نفس مصدر، ج5، ص 175.

عنه جميع أعوانه إلا حرسه الخاص[1] ، فانسحب ضرغام إلى بركة الحبش[2] واستقر بها و قام بنهب أموال اليتامى المودعة لدى الحاكم وتهديد الشعب مما زاد الطين بلة فغزر غضبهم و كرههم له ووسع الشقاق بينهم فتخلى العامة عن ولائه ومالو إلى شاور[3].

وفي هده الآونة كان أسد الدين قد استولى على مدينة مصر القديمة واقام فيها أيام حيث قام بمطاردة رجال ضرغام فكانت ردة فعله تخريب عدة مناطق في القاهرة فطارده العامة وقتل عند مشهد السيدة نفيسة بنت الحسن ابن زيد بن حسن بن علي رضوان الله عليه وبقت جثته يومين دون دفن وقتل اخوه نصر الدين أيضا. في شهر رجب (559هـ/جوان 1146م) و بموت ضرغام تمكن شاور من استعادة مكانته في الوزارة[4].

وعند اعتلاء المنصب عاد شاور الى طبيعته المعروف من مكر و خداع وتنكر لجميع وعوده لشركوه ورفض دفع المبلغ المتفق عليه وطلب منه مغادرة مصر والعودة مع قواته لبلاد الشام، مما جعل أسد الدين يصر على البقاء في مصر واتخذ من إقليم الشرقية معسكرا لجنوده وأرسل خبرا إلى نور الدين ليعلمه بما جرى[5].

وفي ذلك الحين أرسل شاور طلب المساعدة من الملك عمور الأول الذي كان يستعد للزحف على مصر خوفا من امتلاك نور الدين لها، وعرض عليه ان:

يؤدي له مبلغ ألف دينار عن كل مرحلةٍ من مراحل الرحلة من بيت المقدس إلى نهر النيل، البالغ عددها سبعاً وعشرين مرحلة.[6]

---

[1] – محمود محمد الحويري، مرجع سابق، ص 119 – 120

[2] – **بركة الحبش:** هي أرض واسعة وطولها نحو ميل مطلة على نهر النيل،. أنظر : ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 401.

[3] – ستيفن رانسيمان، مرجع سابق 2، ص 426

[4] – ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 466

[5] – محمود محمد الحريري، مرجع سابق، ص 132

[6] – محمد مؤنسعوض: مرجع سابق، ص 91

يمنح هدية لكل من يصحبه من فرسان الأسبتارية الذين كانوا يشكلون عماد جيش مملكة بيت المقدس، في محاولة منه لإغراء فرسانها بالاشتراك بالحملة في اللعبة السياسية بين الأعداء الكبار، ومحاولاً بذلك إثارتهم لمصلحته الخاصة[1].

لا شك بان عموري الأوَّل كان انذاك يراقب تطورات الموقف السياسي، والعسكري في مصر، فلمَّا علم بزحف أسد الدين شيركوه، ازدادت مخاوفه، ولمَّا وصلت إليه دعوة شاور؛ رحَّب بها، وبذلك لم تَضِعْ الفرصة عليه لدخول مصر، وإن اختلف الحليف؛ الأمر الذي لا يهمه في شيءٍ، فكل ما يعنيه هو دخول مصر[2].

وفي ذلك الحين كان اسد الدين قد وصل بجيشه إلى بلبيس و استولى عليها[3]. ومع بلوغ نور الدين محمود خبر تهيا الجيش الصليبي للإغارة على مصر جهز عسكره و أغار على بلادهم ظنا منهم أنه سيمنعهم من التوجه إلى مصر، لكن هذا لم يردعهم فسقوط مصر تحت راية أسد الدين يعتبر بالنسبة لهم أعظم من حملة نور الدين على بلادهم[4].

خرج الجيش الصليبي بمعظم قواته تاركا في بلاده بعض الحاميات لمواجهة هجوم نور الدين كما أنظم إليهم بعض الفرنجة القادمين لزيارة بيت المقدس، وعند وصول الملك عموري الأول إلى مصر انظمت اليه جيوش شاور وحاصروا بلبيس التي تحصن بها أسد الدين فدام الحصار قرابة ثلاثة أشهر بالرغم من ضعف تحصينات المدينة. اشتد القتال بين الطرفين طوال هذه الفترة حتى وصول للفرنجة خبر سيطرة نور الدين على قلعة حارم وبانياس وهجومه على طبرية والمدن المجاورة، فاضطر الفرنجة للرجوع إلى بلادهم للدفاع عليها[5].

---

[1] – وليم الصوري: ج2، ص 887

[2] – محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 382

[3] – **بلبيس:** هي مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. أنظر : يقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 479

[4] – أبو شامة، مصدرسابق، ج9، ص 466

[5] – أحمد الشامي، مرجع سابق، ص 141

بادروا أسـد الدين بالصـلح الذي كان موقفه صـعبا نظرا لنفاذ المؤون وتفوق القوات الصليبية والفاطمية المشتركة عددا، فالوضع العسكري لم يكن في صالحه فلم يكن بيده حيلة إلا أن يوافق على العرض المقدم له بمغادرة مصـر والرجوع لبلاد الشـام وذلك دون علمه بما قام به نور الدين في الشـام، وفي مسيره نحو الشـام نصـب له الجيش الصـليبي كمينا ولكنه نجا منه ودخل إلى دمشق سالما في (18 ذي الحجة 559هـ/26 أكتوبر 1164م)[1].

أما نور الدين محمود فقد واصل غاراته على الأملاك الصليبية، فهاجم قلعة أكاف في البرية وخربها، ودمر المناطق المجاورة لها وأصـيب عسـاكره بالإرهاق فقرر الإنسـحاب إلى دمشق فور وصوله خبر عودة الملك عموري الأول إلى بلاده[2].

ب. **الحملة الصليبية الثانية:**

من أهم دوافع الحملة النورية الثانية على مصـــر هو التنافس بين الملك عموي الأول والسلطان نور الدين محمود لضم مصر خاصة أن كليهم لم يصل إلى هدفه فالسيطرة على هدا البلد هو مفتاح الشـرق الأدنى خاصـة بالنسـبة للزنكيين فباسـتلائهم على مصـر ينتهي الحكم الفاطمي الشيعي فيها أما أسد الدين شيركوه فلم يستطيع تجاوز خيانة شاور له وبقي كل تفكيره في كيفية الرجوع الى مصـــر فكان يلح على نورالدين بالقيام بحملة على مصـــر ويهون من أمرها و أبرز ما قال في وصـــف حالة مصـــر و الدافع الى فتحها ما يلي: (ان مصـــر كانت بلاد بلا رجال وحكومة مزعزعة، فثراؤها وعدم وجود الدفاع فيها يجلب الأطماع)[3].

ولى السلطان نور الدين أمر الحملة الثانية إلى أسد الدين شيركوه الذي اصطحب ابن أخيه صـلاح الدين واختارا خيرة جيشـه لهذه المهمة. تحرك شـيركوه إلى مصـر بقوة عسكرية بلغ عددها ألفي فارس يوم (9 ربيع الثاني 562هـ/1 فيفري 1167م) من دمشق وكان خلفهم

---

[1]– محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، 1095–1291م، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2000م، ص 111

[2]– محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 388

[3]– محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 74

نور الدين محمود الزنكي مع قوات إضـــافية لحماية ظهورهم من الهجوم الصـــليبي[1]، وعند وصـول اسد الدين لأطراف الشام عبر طريق الصـحراء من منطقة تسمى واد الغزلان لتجنب الاشـتباك مع الفرنجة ولكنه واجه عاصـفة رملية كبيرة عرقلته وكادت ان تقضـي عليه وعلى جيشه ولكن رغم ذلك تمكن من الوصول سالما إلى مصر فقصد أطفيح ونزل بالجيزة وعسكر بها في (ربيع الثاني /فيفري) حتى يكتشف لما يخطط له شاور. فلما وصل إلى مسامع شاور خبر وصـول أسـد الدين شـيركوه اسـتغاث بالفرنجة، فقام عموري بدعوة الصـليبيين في نابلس إلى اجتماع وبين لهم الخطر المنجر إلى مصـــر إذا ســـيطر عليها نور الدين فوافقوا على إرسال حملة لمساعدة شاور اشتركت فيها أغلب القوات الصليبية والممتنعة منهم أجبرت على دفع عشـر مداخيلها لدعم الحملة، أما الفرنجة فلم يكمل اسـتعداداتهم وسـارعوا بالخروج إلى مصر بعد سماعهم بتحرك شيركوه[2].

قبل أن يتوجه عموري لمصـر للقاء شـاور وضـع حكم بيت المقدس تحت تصـرف بوهيمند الثالث حاكم أنطاكيا تحفظا من هجوم نور الدين على الممتلكات الصـــليبية[3]، وعند وصـوله مصـر عقد مع شـاور اتفاقية بان تدفع مصـر لمملكة بيت المقدس مئتي الف دينار مقدما ومثلها مؤخر مع شرط عدم مغادرة عموري الأول مصر إلا بعد خروج قوات أسد الدين شيركوه منها وتمت هده الاتفاقية بصفة رسمية حيت وقع عليها الخليفة الفاطمي العاضد[4].

أما بالنسـبة إلى أسـد الدين شـريكوه فقد سـيطر على المناطق الغربية وعموري على الجهة الشـرقية وظل الجيشـان قرابة شـهر يراقبان بعضـهما البعض دون العبور إلى الضـفة الأخرى، مع فشل محاولة عموري الأول وهذا ما أدى به لاستبدال خطته والمحاولة من جزيرة وسط نهر النيل فنقل جيشه إليها ليلا تم إلى الضفة الثانية فاكتشف شيركوه أمره فتراجع هذا

---

[1]– أبو شامة، مصدر سابق، ج2، ص 07

[2]– ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، (ت .ج. م) نور الدين خليل، ط2، ص 602 – 601

[3]– محمود محمد الحويري، مرجع سابق، ص 173

[4]– محمود محمد الحويري، مرجع نفسه، ص 137

الاخير إلى مصر العليا لأنه لا يستطيع مواجهة جيش الفرنجة والمصريين الدي يفوقه عددا وعتادا. وتوجه نحو الصعيد ملتزما نهر النيل تى بلغ ملوى في سيره فتعقبا الملك عموري وشاور اثره تاركين خلفهم جيشا لحماية القاهرة فلم يبقى له حل اخر إلا المواجهة[1].

اشتبكت العساكر الشامية مع قوات تحالف المصريين والإفرنج في منطقة البابين حيث قام الفرنجة والمصريين بترتيب عساكرهم فجعل الفرنجة على اليمين والمصريين على اليسار وعموري الأول في القلب. أما أسد الدين رتب جيشه بجعل المؤون والعتاد بالقلب وكذلك ابن أخيه صلاح الدين لعلمهم أن الهجومات ستتركز عليه لظنهم أن شيركوه متواجد فيه. اتفقا صلاح الدين وعمه شريكوه بالتظاهر بالتقهقر أمام الصليبين واتخذ شريكوه الميمنة مع جنوده الموثوق بهم وعند بداية المعركة وقع ما كان في الحسبان حيث ركز عموري هجومه على قلب جيش شيركوه ونفذ ما كان متفق عليه أي التراجع بقلب الجيش إلى الخلف مما فتح المجال لشريكوه بالتقدم بجنوده وضرب الجناح الأيسر للجيش الصليبي والمصري فحطمه. أما الجيش المطارد لصلاح الدين فانشغلوا بنهب العتاد والمؤونة وبذلك وقع الجيش الصليبي في حصار تام فهزم الصليبيون هزيمة شنعاء في يوم (25 جماد الثاني 562هـ/18 مارس 1167م)، وانسحبوا مع خليفهم شاور إلى القاهرة [2].

وقد خلف هذا الاشتباك هزيمة كبيرة للقوات المتحالفة واستيلاء أسد الدين على الإسكندرية وكان من الممكن أن يمتلك القاهرة لو تعقب عموري وجيشه بعد الهزيمة مباشرة ولكنه سار ببطئ على الضفة الغربية للنيل حتى وصل إلى الإسكندرية التي فتحت له أبوابها نظرا لكراهيتهم لشاور فقام أسد الدين باستنابة ابن أخيه صلاح الدين عليها ثم توجه إلى الصعيد وامتلكها [3].

---

[1]- محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 391

[2]- ستيفن رانسيمان، مرجع سابق، ج2، ص 605

[3]- ابن الأثير، الكامل ، ج9، ص 329

أما الفرنجة والمصـــريون فبعد عودتهم إلى القاهرة قاموا بتنظيم صـــفوفهم بعد ما تلقو إمدادات من بيت المقدس وتوجهوا إلى الإسكندرية وحاصروها برا، وبحرا واشتد الحصار وبدأ مخزون الطعام بالنفاذ داخل الإسكندرية فساء موقف صلاح الدين وسكان الإسكندرية فأرسل إلى عمه شـــريكوه لنجدته فأجبر هذا الأخير على العودة إلى الإســـكندرية، فتبعه الكثير من أهل الصعيد والعربان ما جبر شاور إلى الرجوع إلى القاهرة ومراسلة أسد الدين لطلب الصلح وقام بإغراء قادة شريكوه فتم الصلح بين الطرفين لتظافر عدة عوامل[1]:

- تفرق عساكر شريكوه وشدة الحصار الذي فرض عليه في الإسكندرية.
- الهزيمة الشنعاء التي أصابة الصليبيين في معركة البابين
- الخسائر التي أصابة أملاك الصليبيين.

* فكان الصلح كما يلي[2]:

- رفع الصليبيين الحصار عن الإسكندرية وإعادتها للفاطميين.
- إن يدفع شاور إلى أسد الدين مبلغ خمسين ألف دينار.
- خروج الصليبيين من مصر.

وبعد الموافقة على شروط الصلح عاد أسد الدين شريكوه إلى الشام ودخل دمشق في (12 ذوالقعدة 562هـ/29 أوت1167م)[3]. أما المالك الصليبي تأخر لبضعة أسابيع إلى أن عقد اتفاقية مع شـــاور لإثبات الحماية الصـــليبية عليه وعلى الدولة الفاطمية ومن أهم مظاهرها:

[1]- أبوشامة، مصدر سابق، ج2، ص9

[2]- مسفر بن سالم عريج الغامدي، مرجع سابق، ص 306

[3]- ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 4

- دفع جزية سنوية قدرها مائة ألف دينار.
- بقاء الفرســـان الصـــليبيين تحمي أبواب القاهرة من هجومات نورالدين محمود إذ تكررت[1].
- غير أن ســكان الإســكندرية لم تنتهي متاعبهم بعد، فعند دخول شـــاور المدينة قام باعتقال كل من حامت حوله شــكوك التعاون مع صـــلاح الدين مما دفع هذا الأخير إلى الشكاية لعموري الأول الذي أمر شاور بإطلاق سراح المساجين[2] .
- إن السياسة المتبعة من طرف شاور اتجاه أهل مصر وخضوعه التام للصليبيين لم تعجب الشــعب حتى ابنه الكامل شــجاع راســل نور الدين وأعلن ولاءه له وطلب منه التدخل لإصــلاح أحوال مصــر مقابل أن يدفع له مقدار من المال كل سنة. لضمان شاور الحماية من استلاء الطرفين على مصر[3].

ج. **الحملة الثالثة لنور الدين الزنكي على مصر وبسط نفوده نهائيا عليها:**

لم يكن أسد الدين شريكوه السباق إلى دخول مصر في هذه الحملة كما حدث فـــي المرتين السابقتين، وإنما كانت الحامية الصليبية التي أبقاها عموري في مصر هي السبب في دفع القوات الصليبية إلى المجيء إلى مصر لامتلاكها [4]، فقد اطلعوا علـــى خيرات مصر فطمعوا فيها، وأرسـلوا إلى ملكهم عموري الأول يسـتدعونه للسـيطرة عليها كما أعلموه بخلوها من الموانع وهونوا أمرها عليه، كما ان هناك فئة من أعيـــان المصريين ممن كانوا يعادون شاور، راسلوا عموري يطلبون منه القدوم إلى مصر[5]، فلم يجبهم إلى ذلك حتى عقد اجتماعا لفرسان الفرنجة وأعيانهم وأشاروا عليه بإخراج حملة نحو مصر فأجابهم قائلا :" الرأي أن لا

---

[1]– أبو المحاسن، مصدر سابق، ج5، ص 333

[2]– ستيفان رانسيمان، مرجع سابق، ج2، ص 607

[3]– محمود محمد الحويري، مرجع سابق، ج2، ص 140

[4]– أحمد الشامي، مرجع سابق، ص 145

[5]– أبو شامة، مصدر سابق، ج2، ص 32

نقصدها، فإنها طعمة لنا، وأموالها تساق إلينا، نتقوى بها على نور الدين، وأن نحن قصدناها لنملكها فإن صاحبها وعساكره وعامة بلاده لن يسلموا إلينا ..."[1]

إلا أن عموري الأول بعدها غير راية من كثرة الإلحاح من طرف القادة الصليبيين كما أنه غير إستراتيجيته في الهجوم على مصر وذلك بطلب الإعانة من الإمبراطور البيزنطي كومنين مانويل خصوصا أنه في الحملتين السابقتين كلما أغار على مصر يتعرض للهجوم من قبل نور الدين. فاتفق عموري الأول من امبراطور بيزنطا بأن يكون له نصيب من غنائم مصر والتصرف التام في أنطاكيا والتنازل عن بعض بلاد الفرنجة[2]. لكن هذه الشروط لم تلاقي استحسان عموري الأول فأرسل صديقه المؤرخ كبير شمامخة صور وليم الصوري إلى صربيا لاستئناف المحادثات وخوله صلاحية الموافقة على ما يبرم من اتفاق بينه وبين الإمبراطور مانويل فتم عقد الاتفاقية في (ذو القعدة 563هـ/سبتمبر 1168م)، والتي نصت على غزو الأسطول البيزنطي بمساعدة القوى الصليبية البرية مصر وعلى تقاسم الغنائم بين الطرفين بعد الاستلاء على مصر[3].

غير أن الصليبيين في الشام لم ينتظروا عودة وليم الصوري وألحو على الخروج لمصر خاصة بعد وصول الدعم الصليبي الغربي بقيادة وليام الرابع فوافق عموري للخروج دون البيزنطيين لتنجب اقتسام الغنائم معهم فيما بعد [4].

خرجت القوات الصليبية في حملة على مصر في (ذي الحجة 563هـ /أكتوبر 1168م) بقيادة عموري الأول الذي قام بالتمويه حيث نشر خبرا مفاده أنه متوجه إلى حمص لينشغل بها السلطان نور الدين في حين توجه بجيشه نحو بلبيس، في حين لم يتوقع شاور أي هجوم صليبي نظرا للاتفاقيات المبرمة بينهما. حيث احتج على عموري بسبب للمعاهدة

---

[1]- ابن واصل، مصدر سابق، ج1، ص 156

[2]- ستيفن رانسيمان، مرجع سابق، ج2، ص 612

[3]- محمود محمد الحويري، مرجع سابق، ج2، ص 144-143

[4]- ستيفان رانسيمان، مرجع سابق، ج 2، ص 613

فاحتج بما فعله الكامل بن شـــاور فاشـــترط أين يدفع له مليونين من الدنانير لينســـحب من مصر.

بينما كان شاور يجهزه جيشه للمقاومة وصل الصليبيون إلى بلبيس في (صفر 564هـ / نوفمبر 1168م) فحاصروها لمدة ثلاثة أيام إلى أن دخلوها فقتلوا وأسروا أهلها واستقروا بها مدة خمسـة أيام تاركين فيها أثقالهم لجعلها قاعدة لهم ثم سـارو نحو القاهرة، ولما علم شـاور بمسـير الفرنجة إلى القاهرة أخلى الفسـطاط وأحرقها مسـتخدما عشـرة ألاف قارورة من النفط حتى لا تقع في يد الصـليبيين في ذلك فضـلت النيران مشـتعلة لمدة 54 يوم كما قام بحملة تطير مصر من الفرنجة فقتل عددا كبيرا منهم وفر الباقون[1].

ولما اشتد الحصار على القاهرة علم شاور أنه لم يعد بمقداره حمايتها فلجأ إلى الهدنة وعرض على عموري الف دينار مسبقة ليرجع عن مصر[2].

وقد ارسـل الخليفة الفاطمي العاضـد يسـتنجد بنور الدين ويخبره بضـعف المسـلمين وأرسل في كتبه شـعور النسـاء وقال له:"هذه شـعور النسـاء من قصـري يسـتغثن لتنقذهن من الفرنجة" و ما ان وصـل خبر الاسـتغاثة الى نور الدين حثي أثرة في نفسـه كثيرا وأسـرع في تلبية النداء فأرسـل مبعوثه إلى حمص ليسـتدعي أسـد الدين الذي وصـلته كتب المصـريين مسـبقا وعند وصـــول هذا الأخير إلى حلب اجتمع بنور الدين الذي أعجب بحضـــوره، فأمره بتجهيز الجيش وأعطاه حرية التصرف في إدارة الجيش و مواجهة الأعداء و أرسل معه ألفي وسـتة ألاف فارس و عددا من الأمراء[3]، و أمر صـــلاح الدين بالخروج مع عمه أسـد الدين تحرك جيش نور الدين محمود بقيادة أســد الدين شــريكوه في (ربيع الأول 564هـ/ديســمبر 1168م) ورافقهم السلطان نورا لدين إلى باب دمشق[4].

---

[1]- محمد مؤنس احمد عوض، مرجع سابق، ص 98

[2]- أحمد الشامي، مرجع سابق ، ج2 ، ص147

[3]- أبوشامة، مصدر سابق، ج 2، ص 33-34

[4]- أحمد الشامي، مصدر نفسه، ص 147

في هذه الأثناء كان شاور في مفاوضات مع الصليبيين لكسب الوقت حتى وصول النجدة من بلاد الشام فأرسل إلى الملك عموري يطالبه بالصلح والجلاء من مصر والتخلي عن مصر مقابل أربعمائة ألف دينار فوافق عموري على هذا العرض[1]، لكن لما علم باقتراب شريكوه وجيشه من مصر خرج بجيشه إلى بلبيس في(23 ربيع الأول 564هـ/ 25 ديسمبر 1168م) على أمل أن يباغت قوات شريكه لكن هذا الأخير اختار العبور من منطقة الجنوب لتجنب الاشتباك معه حتى وصل الى القاهرة فرحبوا به أهلها واجتمع بالخليفة العاضد في (7 ربيع الثاني 546هـ / 8جانفي 1169م)[2].

وعندما وجد الملك عموري الاول تحالف القوات المصرية والنورية أدرك أن بقاءه في مصر أصبح مستحيلا فاضطر للانسحاب والعودة إلى بلده[3].

بعد رحيل الافرنج من مصر ساد الامن في البلاد، فأعاد اسد الدين الناس الى بيوتهم وقام بإصلاحات فلاقى استحسان السكان فسارعوا الى خدمة اسد الدين. كذلك شاور الذي أخذ يتودد الى اسد الدين ويتقرب منه فأكثر له من العزائم والولائم وذلك للمماطلة في دفع ما تم الاتفاق عليه المعاهدة[4].

- **مقتل شاور :**

بدأ شاور بالحقد على أسد الدين الذي نافسه على النفود ومما زاد الطين بلة ميول وولاء الشعب والملك العاضد له فحاول شاور تدبير مؤامرة للتخلص من أسد الدين وأمرائه أثناء وليمة غير أنه تراجع في آخر لحظة بسبب ابنه الكامل الذي هدده بكشف المؤامرة لأسد الدين شريكوه الذي علم بما كان يبيت له عدوه ولم يتخذ أي إجراء ضده[5].

---

[1]– محمود سعيدعمران، مرجع سابق، ص 114

[2]– أبوشامة، مصدر سابق، ج2، ص 38

[3]– محمود سعيدعمران، مرجع سابق، ص 114

[4]– السيد علي الحريري، مرجع سابق، ص 132

[5]– ابن الاثير، الكامل، ج9، ص 340

وفي (17 ربيع الثاني /18 جانفي) خرج شاور للاجتماع مع أسد الدين شريكوه وعند وصوله لمكان قيادته استقبله صلاح الدين وجمع من العساكر لكن أسد الدين كان في زيارة لضريح الإمام الشافعي فأراد الإلتحاق به ولم يكد يتحرك حتى انقض عليه كل من صلاح الدين وبعض الأمراء فجردوه من سلاحه وأسروه[1]، ولما سمع الخليفة العاضد بهذا الخبر راسل أسد الدين يطلب رأس شاور فنفذ الأمر وتم قتل شاور في (17 ربيع الثاني564هـ/18جانفي1169م)، وأرسل راسه للخليفة الفاطمي[2].

بمقتل شاور لم يعد للصليبيين مناصر في مصر، ففتحت أبواب القصر الفاطمي بالقاهرة على مصرعيها لدخول اسد الدين وعينه العاضد على راس الوزارة ولقبه بالملك المنصور أمير الجيوش[3].

المبحث الثالث: إعلان مشروع الوحدة بين الشام ومصر

بما أن صلاح الدين كان من المقربين في البلاط الزنكي كونه أحد الأمراء الذين تولوا مناصب إدارية عليا في بلاد الشام وأحد قادة الجيش النوري، فقد حظي الأمير الأيوبي بشرف أنه يتوجه إلى مصر مع آلاف الجنود من القوات النورية لإحكام السيطرة عليه وهذا تطرقنا إليه سابقا إلا أن الأمور لم تلبث أن ساءت وذلك بعد الضغوطات التي تلقاها صلاح الدين لإعلان مشروع الوحدة[4].

تقلد أسد الدين شيركوه الوزارة باسمه، واعتبر نفسه نائباً لنور الدين في مصر، لكنه لم يستمر في منصبه سوى شهرين وخمسة أيام حيث توفى يوم الأحد 22 جمادي الثاني 564/

---

[1]- أبو شامة، مصدر سابق، ج2، ص 56-57

[2]-محمد سهيل طقوش، المرجع سابق، ص 402

[3]- أبو المحاسن، مصدر سابق، ج5 ص 369

[4]- محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص 111- 112.

23 آذار 1196م، فأسرع العاضد لدين الله إلى تقلد صلاح الدين الأيوبي الوزارة في يوم الأربعاء 25 جمادي الثانية 564 / 26 آذار 1169 .[1]

وعليه أصبح صلاح الدين الأيوبي، على غرار عمه أسد الدين شيركوه، في موقف حرج، فهو من جهة تابع لسيده نور الدين محمود، وهو مع سيده يعترفان بالولاء للسلطة الروحية المتمثلة بالخليفة العباسي «السني» في بغداد، وهو من جهة ثانية أصبح وزيراً للعاضد لدين الله، وكأنه يعترف بالولاء للسلطة الروحية الأخرى المتمثلة بالخليفة الفاطمي «الشيعي» الذي تجري الخطبة له في مساجد القاهرة. [2]

انتظر صلاح الدين الأيوبي سنتين وستة أشهر حتى أسقط الخلافة الفاطمية، ليعود الولاء الروحي في مصر للخليفة العباسي وحده.[3]

وعليه:

فقد أرسل نور الدين أسد الدين شركوه وصلاح الدين إلى مصر، بهدف معلن وهو إعادة شاور إلى الوزارة وهدف غير معلن وهو ضم مصر، وبعد انقلاب شاور ومقتله تولى شيركوه الوزارة للخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين، على أنه لم يلبث أن توفي بعد شهرين فخلفه في الوزارة صلاح الدين الأيوبي، ونجح في إقامة الأمن واستتباب الأمور وتثبيت أقدامه في البلاد، وجاءت الفرصة المناسبة لإسقاط دولة الفاطميين، فقطع الدعاء للخليفة الفاطمي ودعا للخليفة العباسي في أول جمعة من سنة 567 هـ/ سبتمبر 1171 م.[4]

وكان لدخول مصر تحت حكم دولة نور الدين محمود دو ي هائل، لا في مملكة بيت المقدس وحدها بل في الغرب الأوربي كله، وارتفعت الأصوات لبعث حملة جديدة تعيد للصليبيين في الشام هيبتهم وسلطانهم، وتوجه لمصر ضربات قوية، غير أن حملتهم على

---

[1]– محمود سعيد عمران، مرجع نفسه، ص 111– 112.

[2]– مرجع نفسه، ص 111– 112.

[3] – سوزي حمود، الفاطميون والبزنطيون والأيوبيون والمماليك وصراعهم حول السلطة في المشرق العربي (362–923هـ/973–1517م)، تق ومر: عصام شابو، بيروت، 2010 دار النهضة العربية، ص46.

[4] – بسام العسلي، مرجع سابق، ص 117.

مصر لم تحقق أهدافها ليقظة صلاح الدين في مصر، وبنجاح نور الدين في ضم مصر إلى جبهة المقاومة، يكون قد حقق الحلقة الأخيرة من حلقات توحيد الجبهة الإســـلامية تمهيدا للضربة القاضية .[1]

ومما جعل الأمور في توتر بين صـلاح الدين ونور الدين لاسيما بعد أن قطع الوجود الفاطمي في مصر، وأصبحت بذلك البلاد خاضعة له وكانت من ضمن شرارة الخلاف بينه وبين نور الدين أن صـــلاح الدين أرســـل مخاطبا الخليفة العباســـي في بغداد دون علم نور الدين وهذا يعد تجاوزا للسلطان نور الدين مما أغضـبه ودفعه للبحث عن ذريعة ليدخل بقواته إلى الاراضـي المصـرية خوفا من نوايا البيت الأيوبي بالإستقلال بمصـر وفصـلها عن الدولة الزنكية ومازاد مخاوف نور الدين زنكي اعتذار صـــلاح الدين عن الوصـــول إلى بلاد الشـــام لأســـباب أمنية بعد أن كان نور الدين قد طلب الدعم وأمره بالخروج نحو الكرك لمواجهة الصـليبيين، في هذه الأثناء وافت المنية نور الدين 569 هـ، وهذا ما شـكل الإنطلاقة الأولى لقيام الدولة الأيوبية في البلاد المصـرية بشـكل علني وصـريح[2] وكان على إطلاع بما آلت إليه بلاد الشام من الضـعف بسبب تناحر الأمراء اللذين إستغلوا صـغر سن الوريث الشرعي لنور الدين زنكي وتصرفوا في أموال الخزينة والدولة بما تشتهي أنفسهم .[3]

وبعد كر وفر تحقق لصلاح الدين الإستيلاء على بعلبك 570 هـ وبذلك أرسل للخليفة العباسـي في بغداد يطلب تقليدا رسـميا لحكم بلاد الشـام ومصـر والمغرب واليمن مبررًا ذلك بمواجهة الإفرنج تحت جبهة إسلامية موحدة فجأه تشريف وتقليد بالسلطة والسلطنة في مصر والشام[4].

---

[1] – بسام العسلي، مرجع نفسه، ص 117، 118، أنظر الملحق رقم 05، ص 119.

[2] – عبد المعز عصري بني عيسى، الطموح السياسي للأسرة الأيوبية في ظل الدولة الزنكية (534 – 569هـ/ 1139 – 1173 م)، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مجلد 13، ع2، 2016، ص ص 641 – 688، ص 655.

[3] – ابن تغري بردي، مصدر سابق، ص 24.

[4] – ابن شداد، مصدر سابق، ص 93 – 96.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة توصلنا الى جملة من النتائج نذكر منها:

– كان نور الدين زنكي من أعظم القادة المسلمين ومن أبرز المخططين الاستراتيجيين في زمنه، حيث بدأ حُكمه لإمارة صغيرة تتألف من مدينة حلب وضواحيها، ليواجه تهديداً خطيراً من قبل الغزاة الصليبيين، ومنافسة شديدة من قبل القوى الإسلامية الأخرى في بلاد الشام والعراق ومصر، وبعد ثماني سنوات فقط، تمكن من الاستيلاء على دمشق حيث أصبح الحاكم الأقوى في المشرق الإسلامي، ومن أقوى الحكام في العالم الإسلامي، فلابد من قوة عسكرية توافرت لنور الدين، ولابد أنه أحسن إدارتها، واستخدامها، حتى تمكن من تحقيق إنجازه في التوحيد وتحرير مناطق واسعة من العالم الإسلامي.

– امتدت ساحة صراع بين نور الدين زنكي و الصليبيين من إمارة الرها إلى أنطاكية ثم طرابلس، وبيت المقدس، حيث تمكن من اسقاط ما يزيد على الخمسين من الحصون والمعاقل، ودخل في صراع عسكري مع جبهتين شمالية وجنوبية في آن واحد، وارتبطت طموحاته بحكمته، ودهائه السياسي، فحافظ على طاقاته وإنجازاته، ولم يقتصر على اِتباع الوسائل والاستراتيجيات الأمنية والعسكرية، بل سعى إلى انتهاج الطرق السياسية الدبلوماسية والسلمية في أوقات الحرب والسّلم حيث عمل نور الدين اثناء فترة حروبه على تكوين جيش قوي وزوده بالأساليب القتالية.

– تميزت سياسة نور الدين تجاه الامارات الصليبية :

* إمارة الرها : في كبح المحاولة التي قام بها أميرها السابق لأجل استردادها، وقد انتهت بأسره، وإسقاط أملاكه والحصون والمناطق التابعة له، ومن الطبيعي أن ندرك أن دوره في هذا المجال كان المحافظة على ما أمكن إنجازه في عهد والده عماد الدين زنكي، والقضاء على المراكز الحصينة التي سيطر عليها جوسلين الثاني؛ ويلاحظ أن جهوده تجاهها لم تكن على ذلك المستوى الكبير الذي حظيت به إمارة أنطاكيا نظرًا لانتهاء قوة الرها الصليبية الفعلية في أيامه.

* إمارة أنطاكيا : حقق العديد من الانتصارات المتتالية ، حيث قضى على المراكز الصليبية الأمامية الممتدة بين حلب وأنطاكيا، وتمكن من تهديد إنطاكيا وحصارها، وأسر أميرها رينودي شاتيون، وأما عن حصن أفاميا، فقد اتجه إليه نور الدين، وكان من أمتن الحصون، وأكثرها مناعة، ومع ذلك، فقد حاصره وضيق عليه، وعمل على استنزاف القوات الموجودة فيه ليلاً ونهاراً، ولم يترك لهم راحة، إلى أن حرَّر الحصن، وسيطر عليه ، كما سار نحو حارم، فنزل عليها، وحاصرها، ليملكها في الحادي والعشرين من رمضان لعام 559هـ.

* إمارة طرابلس: قاد العديد من المعارك الحاسمة لإسقاط حصونها وقلاعها؛ لما لها من الموقع الهام، و تمكن في النزول في حصن أنطرسوس الحصن، وقتل من كان فيه من الصليبيين، ورتب فيه الحفظة، وملك الحصون بالسيف والأمان، و استطاع دخول عدة مناطق تابعة لإمارة طرابلس، فنزل في البقيعة تحت حصن الأكراد ، و الاستيلاء على حصن المنيطرة عام 561هـ/1165م، وغنِم الغنائم الوفيرة، واستولى على حصن صافينا والعريمة، وهما من حصون الإمارة المنيعة .

– واجه أيضا مملكة بيت المقدس بمختلف الوسائل والأساليب من تخريب وفساد اقتصادي بهدف السيطرة على مصر.

– كان تحرير وضم مصر من أهم إنجازات السلطان نور الدين زنكي في إطار عملية توحيد البلاد الإسلامية تحت قيادة واحدة، وإكمال مشروع والده في التحرير، فقد تمكَّن من إسقاط الدولة الفاطمية بعد مجموعة من الحملات العسكرية والخطط الإستراتيجية.

– ان الدور السياسي للسلطان المجاهد نور الدين محمود زنكي ، من أهم الأدوار في حياته، فقد حقق من خلاله أعظم إنجازاته بتوحيد المشرق الإسلامي (بلاد الشام ومصر وشمال العراق وشبه جزيرة العرب) في دولة واحدة بزعامته، فكان هذا الإنجاز المرحلة التأسيسية الأهم في حرب التحرير ضد الصليبيين، وعزلهم، وإضعافهم فيما بعد، وقد بذل نور الدين زنكي جهوداً مضنية في سبيل تحقيق هذا الإنجاز، ظهرت من خلالها حِكمته ومَهارته

السـياسـية، ولقد كان واضـح الرؤية منذ بداية حكمه حتى نهايته، فقرر أهدافه الإسـتراتيجية الرئيســـية، وحدد أولوياتها، ووضـــع الخطط المحكمة لتنفيذها، فكان كما قيل: عبقرياً في التخطيط والتنفيذ، والتوحيد والتحرير.

- لم يهمل السلطان نورالدين الجانب الديني فسعى الى إحياء المذهب السني ووحد المنطقة على مذهب واحد وقام بمحاربة المذاهب الأخرى على المذهب الشـــيعي الإســـماعيلي، وعمل على حماية بلاد المسـلمين من أي عدوان خارجي مثلما حصـل مع امارة دمشـق أثناء الحملة الصـليبية الثانية، وكذلك بالنسـبة لمصـر التي كانت تحت الحكم الفاطمي الشـيعي واسـتطاع اسـقاط الخلافة الفاطمية وضـم مصـر الى الدولة الزنكية وأعادها الى ملك الدولة العباسـية، وبالتالي مهد الطريق لمن جاء بعده وهو السـلطان صـلاح الدين الأيوبي الذي اكمل طريق نور الدين بعد وفاته وإســـتطاع تخليص المنطقة من التواجد الصليبي.

قائمة الملاحق

الملحق الأول: الحملة الصليبية الثانية

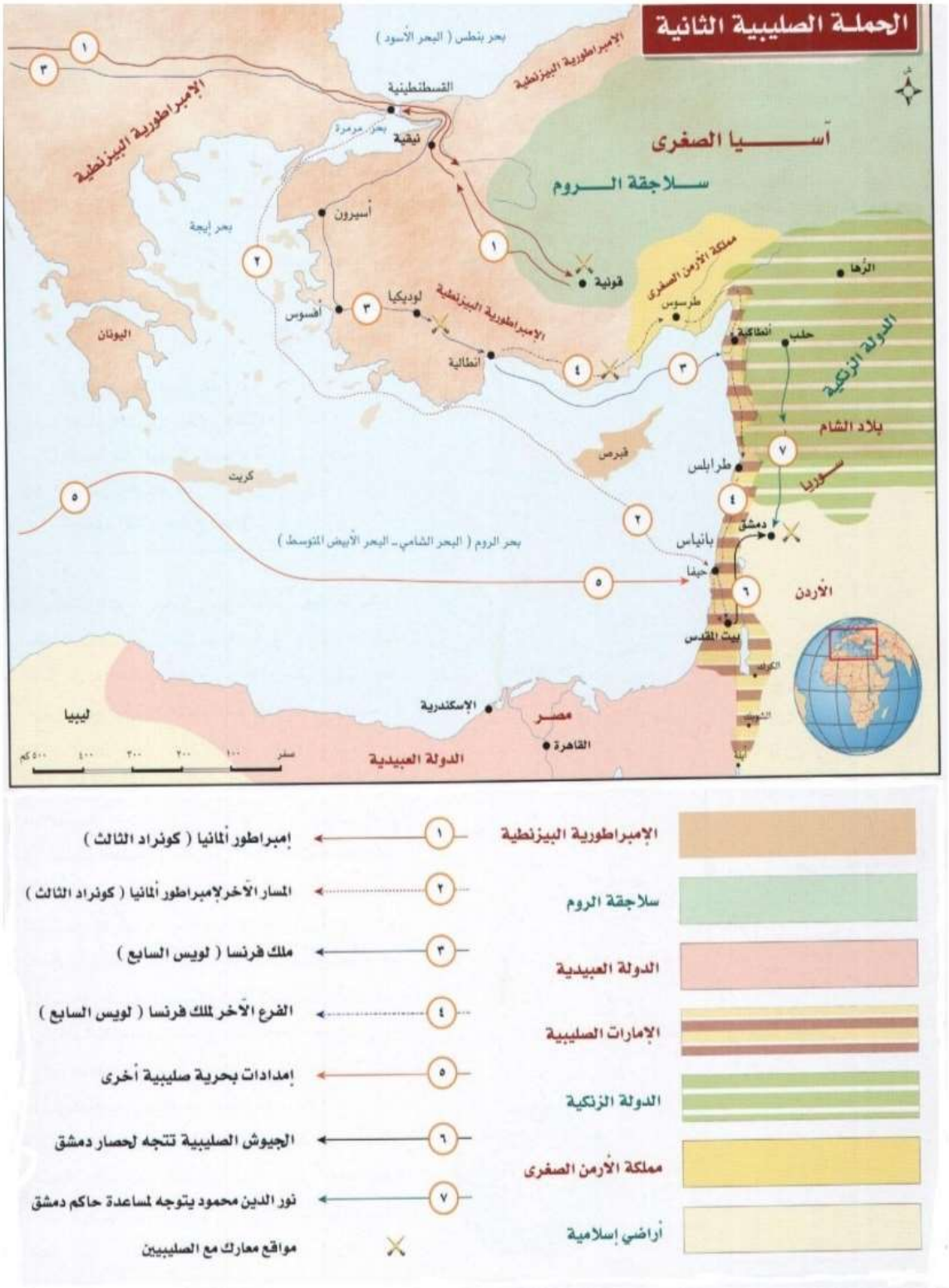

سامي المغلوث، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ص 86.

الملحق الثاني: صورة لموقعة البابين

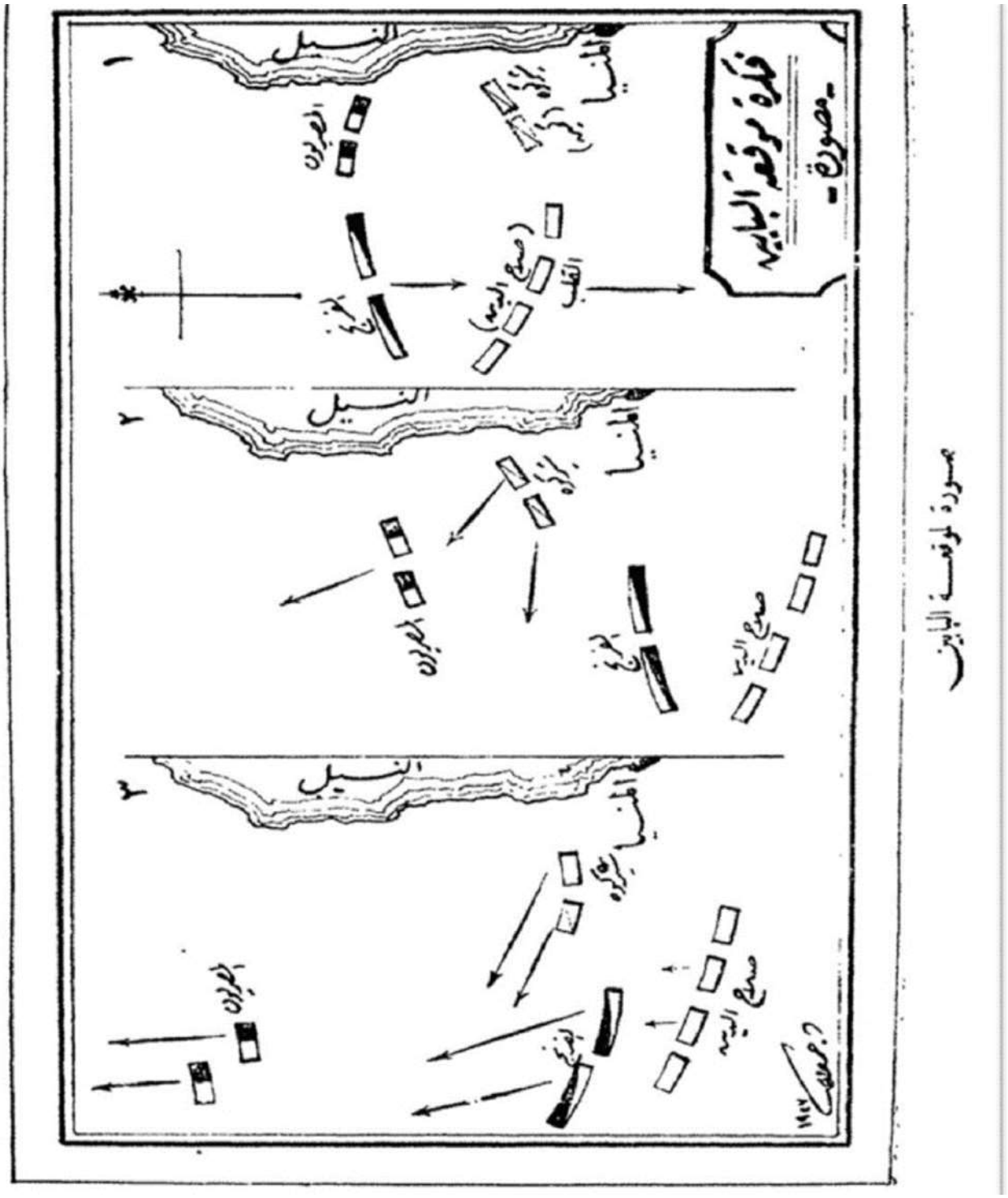

محمد فريد أبو حديد محمد، صلاح الدين وعصره، دار المتب المصرية، مصر، د.ط، 1927، ص 57.

الملحق الثالث: الصليبيون على أبواب دمشق

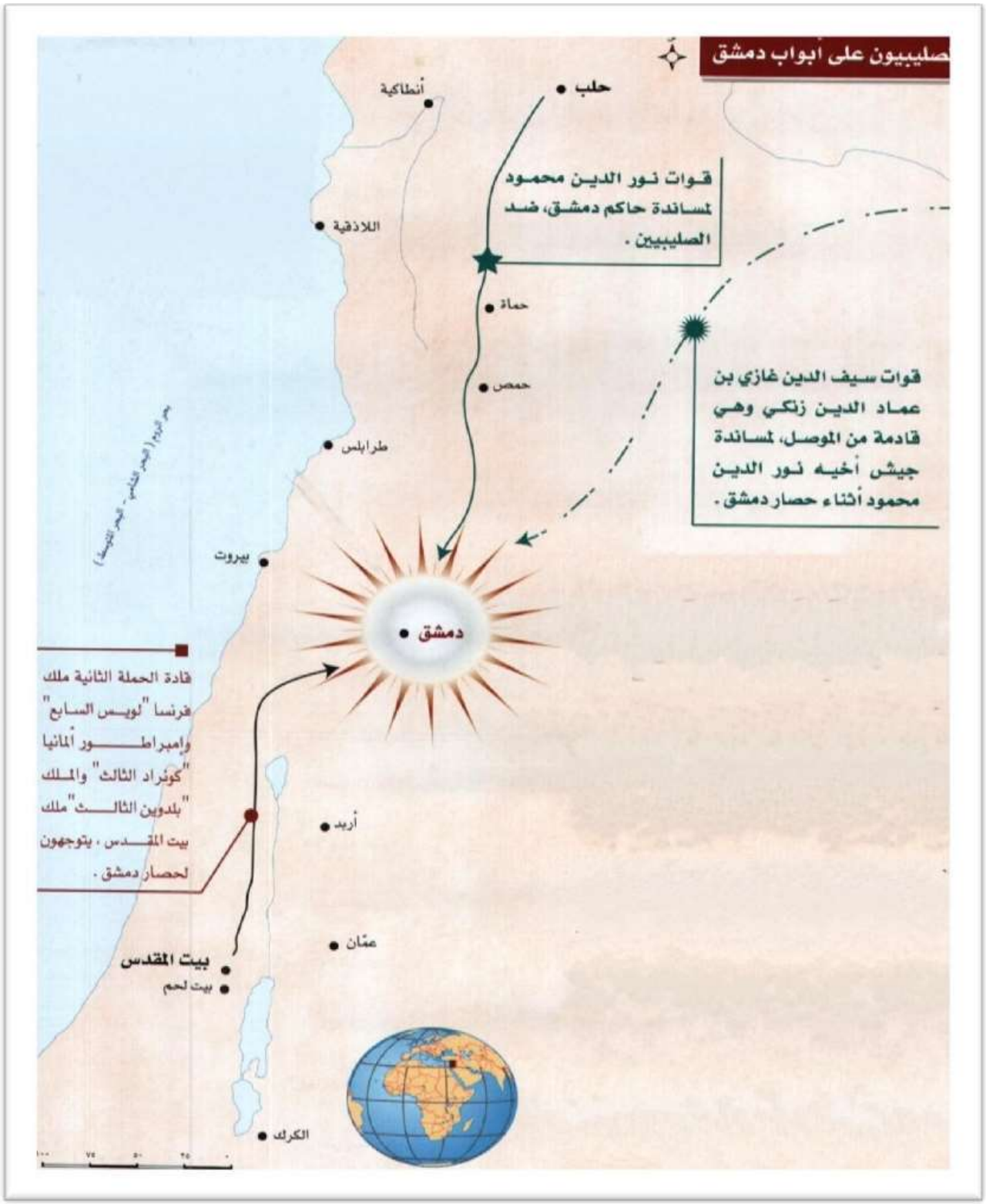

سامي المغلوث، مرجع سابق، ص **88**.

الملحق الرابع: فتوحات نور الدين على أرض الشام

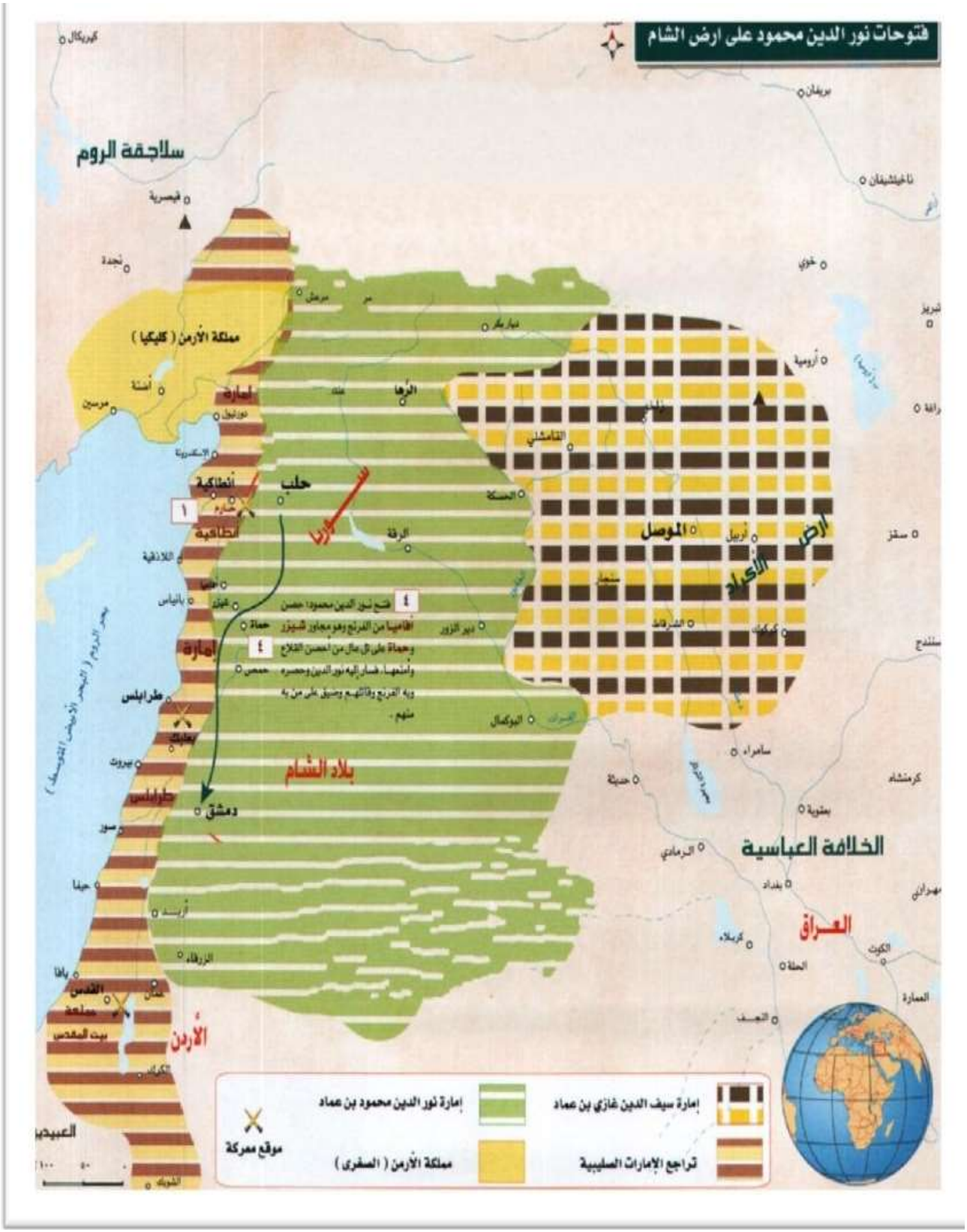

سامي المغلوث، مرجع سابق، ص 90

الملحق الخامس: الدولة الزنكية في أقصى اتساع لها

سامي المغلوث، مرجع سابق، ص 95.

قائمة المصادر و المراجع

أ. **المصادر:**

1. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، د.ط، ج09، بيروت، لبنان، 561هـ/ 580 هـ.
2. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ج2، 1445هـ/ 1995م.
3. ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، مج4، دار صادر، بيروت، ج4، 1997.
4. ابن سباط الغربي، تاريخ ابن سباط، تحقيق عمر عبد السلام التمدري، دار جروس برس، ط1، طرابلس، لبنان، 1413هـ/ 1993م، ج1.
5. ابن واصل جمال الدين، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، جمال الدين الشيال، مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1953– 1957م، ج1.
6. أبو الحسن بن منير بن أحمد بن مفلح الطرابلسي الرفا، ديوان ابن منير الطرابلسي، عمر عبد السلام، تدمري، دار الجيل، بيروت لبنان، ط01، 1986م.
7. أبو الفداء إسماعيل،بن محمد، المختصر في تاريخ البشر، دار الفكر، بيروت، 1999 ، ج2.
8. أبو الفرج مهذب الدين عبد الله بن أسعد الوصلي، ديوان ابن الدهان، عبد الله الجبوري، دار المعارف، بغداد، ط01، 1388هـ/ 1968م.
9. أبو شامة شهاب الدين المقدسي، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: أحمد البيومي، دار الثقافة وإحياء التراث العربي، دمشق، 1991، ج1
10. أبو يعلى حمزة بن أسد ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، دار الأباء اليسوعيين، د.ط، بيروت، 1908م.

11. أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير، الكامل في التاريخ، محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط4، 2003 م/1424هـ

12. أبي القاسم علي بن الحين بن هبة الله بن عبد الله الشافعي بن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مجد الدين أبي السعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، ط01، 1418هـ/1997م، ج57.

13. بردج أنتوني، تاريخ الحروب، تر: أحمد غسان سبانو، نبيل الجيرودي، دار قتيبة للطباعة والنشر، ط02، 1985.

14. بهاء الدين بن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسوفية، جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، ط1، ط2، القاهرة، 1384هـ/ 1994م.

15. تقي الدين أحمد بن علي، المقريزي، اتعاض الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: محمد حلمي محمد أحمد، دار إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1416هـ/ 1996م، ج3.

16. جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1453هـ/ 1935م، ج 05.

17. جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج1، تح: جمال الدين الشيال، إدارة إحياء تراث المطبعة الأميرية، القاهرة، 1957م.

18. ر.سى سميل، الحروب الصليبية، تر: سامي هاشم، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، 1985.

19. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حيدر أباد، الدكن، الهند، 1952م، ج8.

20. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ط1، 1417هـ/ 1996م، ج 39.

21. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح : شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، دار الرسالة، ط11، بيروت، 1417هـ/1996م، ج20.

22. شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي، الروضتين في أخبار الدولتين، دار الجيل، بيروت، د.ط، 1974م، ج1.

23. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرض في فنون الأدب، نجيب مصطفى فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، ج 27، بيروت، لبنان.

24. الشيزري عبد الرحمن، ابن نصر عريني، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، د.ط، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946.

25. الصوري، وليم الصوري، الحروب الصليبية، تح: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة، ج3، د.ط، 1994.

26. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1407هـ.

27. ظهير الدين البهيقي، تاريخ حكماء الإسلام، تح، مطبعة الرقي، دمشق، 1946.

28. علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير الجزري، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (بالموصل)، عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، مكتبة المثنى ببغداد، 555 _ 630هـ/ 1160 _ 1232م.

29. عماد الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، تح: لجنة إحياء التراث الغربي في دار الأفاق الجديدة، دار الأفاق الجديدة، ط3، بيروت، 1980.

30. عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، دار المعارف، بيروت، لبنان، د.ط، 1412هـ/ 1991م، ج12.

31. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشى، دار الكتب المصرية، القاهرة ، 1963م، ج5.

32. كمال الدين أبي القاسم، عمر بن أحمد بن هبة الله ابن العديم، الزبدة من تاريخ حلب، ج2، تح : سامي الدهان، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دمشق، 1996
33. محمد بن أبي بكر بدر الدين ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تح : محمود زايد، دار الكتاب الجديدة، بيروت، ط1، 1971م.
34. محمد بن علي بن سليمان الراوندي، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نشر وتصحيح محمد إقبال، تر: إبراهيم الشواربي عبد النعيم حسانين، فؤاد صياد، دار العلم، القاهرة، 1960.
35. محمد كرد علي، خطط الشام، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، ج2، 1433هـ/ 2012م.
36. نظام الملك الطوسي، سير الملوك، سياسة، نامه، تج: يوسف بكار، مطبعة السفير، عمان، الأردن.

ب. المراجع:

1. أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، د.ط، القاهرة، 1977.
2. أرنست باركر، الحروب الصليبية، تر: الباز العريني، دار النهضة العربية، ط2، بيروت، (د.ت.ن).
3. أسامة زكي، صيد ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980.
4. أمين الحسن، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، المكتبة الأهلية، بغداد، 1965.
5. أمينة بيطار، تاريخ العصر الأيوبي، دار الطباعة الحديثة، دمشق، 1402هـ/ 1982م.
6. أنس أحمد كرزون، نور الدين محمود زنكي القائد المجاهد، ط2، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1995.
7. بسام العسلي، مشاهير الخلفاء والأمراء– نور الدين القائد، ط 2، دار النفائس، بيروت، 1988م.

8. الحريري سيد علي، الأخبار السنية في الحروب الصليبية، الزهراء للإعلام العربي، ط3، مصر، 1985.
9. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، ج4، 1996.
10. حسن أنوري، اصطلاحات ديواني، د.ط، دار زبان وفرهنك، إيران، 2008.
11. حسن حبشي، نور الدين والصليبيون، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948.
12. حسن حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1964 م.
13. حسن محمد عطية، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (1171-1268م/568- 666هـ)، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية، 1989م.
14. حسين مؤنس، نور الدين محمود، الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة، ط1، القاهرة ، 1959م.
15. الحويري، محمود محمد، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، في القرنين 12 و 13، د.ط، دار المعارف، القاهرة، 1400 هـ/ 1979م.
16. دريد مقداد، الأماكن الأثرية في بصرى، دار الأهالي، ط1، دمشق، 1995.
17. رانسيمان ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط3، ج1، 1981.
18. رشيد عبد الله الجميلي، إمارة الموصل في العصر السلجوقي، جامعة بغداد، ط1، 1980.
19. سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، أطلس، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، 1430هـ/ 2009م.
20. ستيفن رانسيمان، تر: نور الدين خليل تاريخ الحملات الصليبية (مملكة عكا والحملات الصليبية المتأخرة)، د.ط، د.ب.ن، 2007، ج3.

21. السرطاوي، محمود فايز إبراهيم، نور الدين الزنكي في الأدب العربي في عصر الحروب الصليبية، عمان، دار البشير، ط1، 1990.
22. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط8، ج2، 1418هـ/ 1978م.
23. سعيدعبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عهد المماليك والأيوبيين، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م.
24. سوزي حمود، الفاطميون والبزنطيون والأيوبيون والمماليك وصراعهم حول السلطة في المشرق العربي (362-923هـ/973-1517م)، تق ومر: عصام شابو، بيروت، 2010 دار النهضة العربية.
25. عاشور فايد حماد، جهاد المسلمين (العصر الفاطمي، السلجوقي، الزنكي)، مؤسسة الرسالة، ط4، بيروت، 1988.
26. عبد العظيم رمضان، تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001.
27. عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، جعفر الحسني، دار الترقي، دمشق، د.ط، 1948م، ج01.
28. عزيز سوريال عطية، العلاقات بين الشرق والغرب (تجارية- ثقافية- صليبية)، تر: فيليب صابر سيف، دار الثقافة، ط2، القاهرة، 1972.
29. عطية مصطفى مشرفة، القضاء في الإسلام بوجه عام في العهد الإسلامي في مصر بوجه خاص سنة 358هـ، ط1، دار الفكر العربي، 1949.
30. علي الشامي، الحضارة والنظام العالمي، أصول العالمية في حضارتي الإسلام والغرب، دار الإنسانية، د.ط، 1995.
31. علي محمد الصلابي، الدولة الزنكية، دار المعرفة، ط1، بيروت، لبنان، 2007.
32. علية عبد السميع الجنزوري، إمارة الرها الصليبية، د.ط، الهيئة المصرية للكتاب، 2001.

33. عماد الدين خليل، نور الدين محمود الرجل والتجربة، دار القلم، دمشق بيروت، ط1، 1400هـ/1980م.
34. غانم شيحان جويعد الشمري، نور الدين محمود زنكي صاحب منبر الدفاع عن القدس، دار الظاهرية، الكويت، ط1، 1439هـ/ 2008م.
35. محمد العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، (د. م. ن)، 1982 م.
36. محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في عهد نور الدين وصلاح الدين، مكتبة الكوثر، ط1، 1419 هـ/ 1998م.
37. محمد سهيل طقوش، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، دار الأفاق الجديدة، ط2، بيروت، 1431هـ، 2010م.
38. محمد سهيل طقوش، حروب الفرنجة في المشرق، دار النفائس، ط1، 2011م.
39. محمد علي قطب، أبطال الفتح الإسلامي، دار الدعوة، الإسكندرية، ط1، 1427هـ/ 2006م.
40. محمد مؤنس أحمد عوض، السياسة الخارجية للدولة النورية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ، 1998.
41. محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 1995م.
42. محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، 1095-1291م، ط1، دار المعرفة الجامعية، الأزارطة، مصر، 2000م.
43. محمود محمد الحويرى، بناء الجبهة الإسلامية المتحدة، دار المعارف، الطبعة الأولى، 1992 م.
44. مسفر بن سالم عيج الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية، ط1، دار المطبوعات الحديثة، 1406هـ/ 1986م.

د. الرسائل العلمية:

1. أبو صيني عبد القادر أحمد، نور الدين محمود في نهضة الأمة ومقاومة غزو الفرنجة، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، القاهرة ،2000.

1. أحمد عبد الله محمد، دور نور الدين محمود في توحيد بلاد الشام إبان الحروب الصليبية، مجلة دراسات بيت المقدس، ع18، 2018م.

2. حسين رجا الشقيرات، موقف نور الدين محمود زنكي من الوجود الصليبي في المشرق الإسلامي، مجلة جامعة الحسين بن طلال للبحوث، مج 9، ع4، 2003م.

هـ. الدوريات:

2. شيخاوي يوسف، دور السلطان نور الدين محمود زنكي في الحروب الصليبية، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2011/ 2012.

3. عبد المعز عصري بني عيسى، الطموح السياسي للأسرة الأيوبية في ظل الدولة الزنكية (534 – 569هـ/ 1139 – 1173 م)، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مجلد 13، ع2، 2016.

3. محمد نجيب عبد الوهاب محمد محمد، السياسة الداخلية لنور الدين محمود زنكي، رسالة ماجيستر، كلية الآداب، قسم التاريخ والأثار، الجامعة الإسلامية غزة، 1430هـ/ 2001م.

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

إهداء

قائمة المختصرات

الفصل الأول: شخصية نور الدين محمود زنكي .....أ

المبحث الأول: مولده ونشأته.....9

1. مولده ونسبه:.....9

2. نشأته: 11

المبحث الثاني: صفاته وخصاله.....12

المبحث الثالث: توليه الحكم وطريقة إدارته لدولته.....15

1. **توليه الحكم:**.....15

2. طريقة إدارته لدولته: 20

3. إدارة الدولة في عهد نور الدين محمود الزنكي 22

الفصل الثاني نور الدين ومواجهة الصليبيين **8**

المبحث الأول: سياسة نور الدين في السيطرة على الرها 37

المبحث الثاني: تصدي نور الدين محمود للحملة الصليبية الثانية وسياسته في ضم دمشق..41

1. تصدي نور الدين للحملة الصليبية الثانية:.....41

2. سياسة نور الدين محمود في ضم دمشق: 45

المبحث الثالث: مواجهة نور الدين لمملكة بيت المقدس 52

المبحث الرابع: الحملات النورية العسكرية على مصر 60

أولا: أسباب فتح مصر عند نور الدين 60
ثانيا: الحملات النورية على مصر 61
1. نور الدين يهاجم حصن الأكراد: 61
2. شاور يطلب مساعدة نور الدين محمود: 62
3. ردود فعل نور الدين محمود ضد حملة عموري الثانية على مصر: 65
4. نور الدين يطلق سراح بعض الأسرى: 67
5. نور الدين يجدد الهجمات على الصليبيين: 67
6. الحملة النورية الثانية على مصر: 68
7. المواجهات التي جرت بين شيركوه والقوتين الصليبيتين: 70
8. الحملة النورية الثالثة على مصر 564هـ 75
9. أعمال صلاح الدين ضد الصليبيين فترة وزارته: 77
10. مؤامرة مؤتمن الخلافة ووقعة السودان على صلاح الدين: 78
11. التصدي للحملة الصليبية البيزنطية المشتركة لحصار دمياط: 78
12. الملك نور الدين يرسل نجم الدين أيوب إلى مصر: 82
13. صلاح الدين ونور الدين يهاجمان أملاك الصليبيين: 83
14. إلغاء الخلافة الفاطمية بمصر: 84
الفصل الثالث : 35
دور نور الدين زنكي في توحيد بلاد الشام ومصر 35
المبحث الأول: توسع نور الدين محمود في الشام 85
أ. ضم حمص والموصل وبعض المدن 85

ب. فتح مدينة دمشق 89
المبحث الثاني: نور الدين زنكي ومشروع السيطرة على مصر 95
أ. الحملة الأولى على مصر: 95
ب. الحملة الصليبية الثانية: 99
ج. الحملة الثالثة لنور الدين الزنكي على مصر وبسط نفوذه نهائيا عليها: 103
المبحث الثالث: إعلان مشروع الوحدة بين الشام ومصر 107
الخاتمة 87
قائمة الملاحق 114
قائمة المصادر و المراجع 116

ملخص الدراسة

هدفت الدراسة لمعرفة الإرهاصات الأولى لضهور آل البيت الزنكي وخروج شخصية نور الدين محمود الفذة لعالم الجهاد ضد الصليبيين كونه من أبرز الشخصيات الإسلامية التي أدت دور هام على الساحة السياسية والعسكرية أثناء المواجهة والصراع الاسلامي الصليبي، وعرف عنه أسلوبه الفذ في استعاد الرها وشملت توسعاته الموصل، حمص، شيزر، بعلبك، حارم، بانياس، قلعة جعبر...، وفتح دمشق بعد ثلاث محاولات تاليا توجه إلى مصر لضمها فوجه حملات بقيادة أسد الدين شيركوه لعلمه بضعف الدولة الفاطمية واضطراب أحوال مصر الداخلية، وإدراكه أهمية مصر الاستراتيجية والاقتصادية وبعد دخولها تحت حكمه أخذت الأمور مجريات عدة فأعلن عن مصر السنية ولم يلقى أي تفاعل من الرغبة.

لقد جميع السلطان نور الدين محمود زنكي المنطقة على مذهب واحد وحماها من أي عدوان وحارب الشيعة و الإسماعيلية. وأخذ الخطوات الأولى لتحقيق مشروع الوحدة العربية الإسلامية التي أكملها بعده صلاح الدين الأيوبي.

* **الكلمات المفتاحية**: الصليبين، مشروع الوحدة، الحملات الصليبية، السيطرة.

Abstract:

The study aimed to learn about the first preoccupations of Al-Bayt Al-Zinki and the emergence of Nur Al-Din Mahmoud in the world of jihad against crusaders as one of the most prominent Islamic figures who played an important role in the political and military arena during the confrontation and the Islamic crusade Al-Raha ", and his feat of restoration included his expansions of Mosul, Homs, Shizer, Baalbek, Harim, Baniyas, Qal 'at Ja' bar..., and learn Damascus after three subsequent attempts to join Egypt led by Asad al-Din Shirku to learn of the weakness of the Fatimid State and the turbulence of Egypt's internal conditions In recognition of Egypt's strategic and economic importance, and after entering under his rule, it took a number of steps, declaring Sunni Egypt and receiving no interaction from the desire.

Sultan Nur-Eddine Mahmoud Zinke has all the region on one doctrine, protected it from any aggression, and fought against the Shia and Ismaili. He took the first steps towards achieving the Arab-Islamic Unity Project, which was subsequently completed by Salah al-Din al-Ayoubi.

* **Keywords**: crusaders, unity project, crusades, control.